جـــامـــعـــة الـــجـــزائـــر.

كلية العلوم الإســـلامية.

الموضوع:

البحث الدلالي عند "الراغب الأصفهاني" من خلال كتابه "المفردات في غريب القرآن"

مذكرة مقدمة لنيل: شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية

تخصص: اللغة و الدراسات القرآنية.

إعداد الطالب:

عمر حدوارة

أعضاء اللجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور: الأخضر حداد .... مشرفا

الأستاذ الدكتور عبد القادر هني .... رئيسا

الأستاذ الدكتورة: سهام مادن .... مقررا

الأستاذ الدكتورة. سامية جباري .... مقررا

السنة الجامعية:

1426هـ - 1427 هـ / 2005 م – 2006 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع

إلى الحاج سليمان حفظه الله

وإلى الوالدة الكريمة .

أدام الله عليهما الصحة والعافية

﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾

[الاسراء 24]

شكر وعرفان

أتقدم بالشكر الخالص إلى أستاذي الفاضل الذي كان لي نعم العون والسند في هذا العمل المتواضع : **الدكتور الأخضر حداد** أدام الله عليه الستر والعافية كما لا أنسى أساتذة كلية العلوم الإسلامية بالجزائر خاصة الأستاذ **مصطفى أكرور** ولى أساتذة الأدب العربي بالأغواط والعاصمة .

وأتقدم بالشكرإلى قرة عيني ومن **كانوا لي نعم المدد إخوتي** .

محمد جلول عثمان .الذين لم يبخلوا علي بأدنى جهد متوفر

إلى الأساتذة قروج بولفعة ، ذرذاري عبد الله .رويشم زكرياء ، ن. باكرية قرباص أخذري بلغيث . ع. قريبي

إلى الأساتذة عبد القادر بن زيان رشيد نور الدين

دحمان عبد القادر . الأخضر بوجمعة . بوحملة رضا , دادة الحاج صلاح الدين .

لزهاري محمد الصادق ولا أنسى أخي الصغير مصطفى زرارقة ،وإلى زهرة خديجة

أسماء مباركة .

علي طلحة

زوبير ....

وإلى كل من وسعهم قلبي ولم تسعهم هذه الورقة أتقدم لهم بالشكر الجزيل

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم .

و الصلاة والسلام على سيد ولد آدم "**محمد** صلى الله عليه وسلم"، و على آله و صحبه الطيبين الطاهرين أمّا بعد:

قال الله تعالى :(**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ليذكر أولوا الألباب**) [ص/29.]، (**قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء و الذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى**) [فصلت/44].

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى "**محمدا** صلى الله عليه وسلم " خاتما للأنبياء و الرسل، و كتابا ختم به الكتب، كتاب معجزة و منهج. فتحدى به العرب أرباب الفصاحة و البيان وبالإضافة إلى كونه معجزا، فهو أيضا دستور وضعه الخالق لإصلاح الخلق. لذا فللقرآن الشأن الأكبر في حياة المسلمين. فهو هديهم في شريعتهم، و هو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة، و هو المنبع الصافي الذي ينهل منه.

كالبـــــدر من حيث التفت رأيتـــه # يهـــــدي إلى عينيك نورا ثاقبا

كالشمس في كبد السماء وضوءها # يغشى البلاد مشارقا و مغاربا

و قد كان القرآن موضع العناية الأول عند العلماء، و الأدباء و الفلاسفة و الفقهاء المسلمين. فتوالت أنواع المؤلفات، حتى ازدهرت في الثقافة العربة الإسلامية، ضروب شتى من العلوم و الفنون حول القرآن ورواياته.

و نظراً لما يوليه لباحثون و الدارسون للأبحاث اللغوية و ربطها بما توصل إليه العلم الحديث من مناهج علمية. و أيضا للمكانة الخاصة للأبحاث اللغوية و الدلالية؛ تولدت لدي الفكرة أن تكون مذكرة التخرج، ضمن مجال علم الدلالة و معاني الكلمات. و بعد بحث عميق عن أهم المواضيع التي يمكن أن تكون كذلك. ارتأيت أن يكون البحث ضمن دلالات كلمات القرآن الكريم، و ذلك لأنّ أول ما يشتغل به علوم القرآن العلوم اللفظية، كالقراءات مثلا، و من العلوم اللفظية الكلمات المفردة.

و لما كان تناول "**الراغب الأصفهاني**" لكلمات القرآن الكريم تناولا خاصا، وجدت أنّه من الضروري تخصيص البحث ليكون حول هذا النحوي اللغوي المفسر, و ذلك لأن البحوث الأكاديمية لم تتناوله بالدراسة، و "**الراغب الأصفهاني**" له منهج خاص في النظر إلى بعض الظواهر الدلالية كظاهرة "**الترادف**". فقد نظر نظرة أيد فيها رأيا يكاد يكون فيه منكرا له تماما. ذلك أن الكلمة القرآنية يعبر فيها عن معنى ما لا تصلح في غيره؛ كالنبأ والخبر، والحديث والمسغبة والجوع والمكث و اللبث.... فالمشتغل بهذه الألفاظ، يرى أنّهما متماثلان في المعنى، ولكن الاستعمال القرآني يظهر لنا أنهما ليسا سيان.

- **ظاهره الأضداد**: لـ"**الراغب الأصفهاني**" وجهة نظر خاصة فمثلا كلمة عسعس التي معنا ها أقبل وأدبر يرى لها تخريجا لطيفا و هي أن أقبل و أدبر في مبدأ الليل ومنتهاه. فالعسعسة و العساس، رقة الظلام، و ذلك في طرفي الليل أي بدايته و نهايته.

و لذلك جاءت الكلمة محتملة للدلالتين . فلـ"**الراغب الأصفهاني**" إذن رأي تركيبي بين الرأيين.

وكلمة الظن، قد تكون بمعنى اليقين، و قد تكون بمعنى الشك. فـ"**الراغب الأصفهاني**" يرى أنّ الظن اسم لما يحصل عن أمارة، ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت لم تتجاوز حد التوهم.

أمّا عن قضية التضام، في علم الدلالة نجد "**الراغب الأصفهاني**" قد تحدث عنها. ومثال ذلك كلمتي رغب عن و رغب في. إضافة إلى هذا فإنّ البحث سيجيبنا عن إشكالات كبيرة في دلالات القرآن الكريم. وأهمية هذا الموضوع تكمن في جديته وحداثته، حيث لم يتناول الباحثون هذا الكتاب بالدراسة و التحليل، إلاّ ما جاء عرضا عن لمنهج المعرفي، أو "**الراغب**" و الفكر الاعتزالي أو اعتماد الباحثين عليه في بعض المواد اللغوية للتعريف ببحوثهم.ولكن ما يمكن الإشارة إليه هو أن هنالك كتبا تناولت علم الدلالة منفردة، و أنّ هنالك كتبا تناولت علم المعاني المعروف في البلاغة العربية، و أنّ هنالك معاجم للكلمات القرآنية هذه الأخيرة التي لا ترتقي بأي حال من الأحوال إلى دقة و كثافة المعلومات التي يزخر بها كتاب "**الراغب**". و إضافة إلى هذا كلّه فإن الأهمية تنبع من توقف فهم المعنى العام للآيات على فهم الكلمات المفردة. وعلى هذا فالإشكال المطروح:

كيف نظر "الراغب الأصفهاني" إلى الظواهر الدلالية ؟وكيف تعامل معها ؟

وما هي الضوابط والقواعد التي يقدمها حتى تحتمل الكلمة معنى دون الآخر ؟

وما هو المنهج الذي ارتضاه في تفسير كلمات القرآن الكريم ؟

و للإجابة عن هذه التساؤلات كان هذا البحث الذي لم يكن ترفا علميا دعت إليه قلة المواضيع المقترحة وغنما دفعتني إليه أسباب عديدة كان أهمها:

1- فقر المكتبة الجامعية في الدراسات القرآنية.
2- قلة الدراسات المتعلقة بالمستوى الدلالي .
3- عدم اهتمام الباحثين بالظواهر الدلالية الموجودة في القرآن الكريم

ومن هذا المنطلق كان اختياري هذا البحث، حتى أضيف شيئا جديدا من خلال ربطه بالمناهج الحديثة المتبعة، في الدراسات اللغوية والدلالية لإعطاء الموضوع صبغة منهجية أفضل. و أنا أعلم مدى صعوبة البحث ووعورته وذلك لمنهج الاستقراء المتبع فيه من جهة، والوصف والتحليل والمقارنة مع التفاسير الأخرى من جهة ثانية.

وعلى هذا الأساس ارتأيت أن تكون خطة البحث كالآتي:

مدخل: وفيه التعريف بمعنى التفسير والتأويل وأنواع التفسير، وضمن أي نوع يمكن أن نصنف تفسير **"الراغب"**، مع شرح لمصطلح الدلالة.

الفصل الأول وفيه الكلام عن أهم المشكلات في الدرس الدلالي، المتعلقة بالمعنى وتناولت فيه الترادف، بين مؤيديه ومنكريه وأسبابه. و المشترك اللفظي وكيفية نشأته وسلبياته وإيجابياته كما تكلمت عن النظرية السياقية وسبق العرب في هذا المجال لعلم الدلالة.

الفصل الثاني: وتكلمت فيه عن **"الراغب"** و ينابيع ثقافته، و أهم العلوم التي أخذ منها، ومنهجه المتبع في قضية الترادف، و التضام، و السياق، و الأثر، و عن منهجه في تناول ظاهرة الأضداد، و غيرها من الظواهر التي عالجها **"الراغب"** في دلالة الكلمات.

أما في **الفصل الثالث**: فقد كانت النماذج التطبيقية لبعض الكلمات المتفرقة، والمنتقاة بدقة متناهية، بعد طول اطلاع. والتي رأيت أن تكون نماذج مفيدة للتحليل. كالفرق بين المكث واللبث و الثواء، و الفرق بين الجدار و الحائط. و الفرق بين آتينا، وأوتوا. و الفرق بين القلب والفؤاد، و الصدر... و كلها كلمات نزل بها القرآن الكريم.

و أتممت هذه المذكرة كالمعتاد **بخاتمة**: لخصت فيها أهم النتائج التي انتهى إليها البحث. و الإجراءات العلمية المنهجية؛ من فهارس للمراجع والمصادر و الفصول والمباحث و ذكر

فهارس الشعر المستشهد به مع قائليه و تخريج الأحاديث الموجودة في المذكرة و الآيات القرآنية و ذكر صفحاتها. و في كلّ هذا اعتمدت على المنهج الوصفي الذي رأيته مناسبا لمثل هذه الدراسة و موضوعها و مخططها و هدفها .بالاستقراء والإحصاء والموازنة و التحليل والاستنتاج. و التزمت بذلك في معظم أبواب البحث وفصوله.

و لا أنسى في الختام أن أتقدم بعظيم الشكر القلبي الخالص أولا للأستاذ المشرف الفاضل الدكتور "**الأخضر حداد**" على صبره الجميل الطويل على تماطلنا و تأخرنا أحيانا لظروفنا الخاصة التي واكبت إنجاز هذا العمل. و الانقطاعات التي تسببت فيها الظروف. ثمّ إلى كلّ من أعاننا من قريب أو بعيد بقليل أو كثير، لإخراج هذه المذكرة. و نشكر أكثر من تكرم علينا بقراءتها وتنقيحها. ورجو صادقين أن لا يكون في قراءتها هدر للوقت أو الجهد ، بل الفائدة والإفادة و بالله التوفيق.

مدخل:
الدلالة و التفسير

مدخل: الدلالة و التفسير:

مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح:

المعنى اللغوي

التفسير مصدر على وزن تفعيل، فعله الثلاثي (فَسَرَ) والفعل الماضي من المصدر تفسير مضعف بالتشديد وهو فسر[(1)]

قال "**أحمد بن فارس**" في "**مقاييس اللغة**":« الفَسرُ كلمة تدل على بيان الشيء وإيضاحه تقول: فَسرتُ الشيء وفسرتُهُ »[(2)]

قال "**ابن منظور**" في "**لسان العرب**":« الفسر البيان يقال فسر الشيء و فسره أي: أبانه... و الفسر: كشف المغطى.. والتفسير، البيان وهو: كشف المراد عن اللفظ المشكل»[(3)]

المعنى الاصطلاحي

إن المعنى الأصلي لمادة فسر من خلال ما سبق, هو البيان و الكشف والتوضيح والإظهار، فكل تصريفات الكلمة واشتقاقاتها، ترجع إلى هذا المعنى الأصلي الجامع وللعلماء والمفسرين عدة تعريفات للمركب الإضافي «**تفسير القرآن**»،نذكر منها تعريف "**الزركشي**" في "**البرهان**" بأنّه:«علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه "**محمد ρ**" وبيان معانيه واستخراج أحكامه و حكمه»[(4)].

وعرفه "**محمد الطاهر بن عاشور**" في "**التحرير والتنوير**" أنّه:«اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن، و ما يستفاد منها باختصار أو توسع»[(5)].

التأويل في اللغة والاصطلاح :

التأويل: مصدر على وزن تفعيل، و فعله الماضي رباعي مضعف وهو : أوَّل، والجذر الثلاثي للكلمة وهو: (أول).

---

[1])- صلاح عبد الفتاح الخالدي، التفسير الموضوعي بين النظرية و التطبيق، دار النفائس، الأردن ط1، 1997،ص11.
[2])- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، 504/4.
[3])- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت 55/5.
[4])- محمد عبد الله الزركشي، البرهان في علوم القرآن تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا بيروت 13/1.
[5])- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984, 11/1.

قال **"ابن فارس"** عن معنى هذا الجذر الثلاثي:«أول أصلان : هما ابتداء الأمر و انتهاؤه ومن استعماله في الابتداء كقوله: الأول وهو مبتدأ الشيء، ومن استعماله في انتهاء الأمر قولك: الأيل و هو الذكر من الوعول و تسمى أيلا لأنّه، يؤول إلى الجبل و ينتهي إليه ليتحصن فيه، وقولهم آل بمعنى رجع، و آل الرجل: أهل بيته و سمو بذلك لأنّ مرجعهم ومآلهم في الانتهاء إليه، كما أنّ مرجعه و مآله إليهم، لأنّهم ابتداؤه. ومن هذا الباب الأول لأنّه بمعنى الانتهاء والمرجع و تأويل الكلام: هو عاقبته و ما يؤول وينتهي إليه »[1]

و الظاهر أنّ التأويل عند المتقدمين هو بمعنى التفسير، فيقال: تفسير القرآن و تأويل القرآن بمعنى واحد. قال **"ابن جرير الطبري"** في تفسيره: « القول في تأويل قوله تعالى كذا... واختلف أهل التأويل في هذه الآية....»[2] يريد بذلك التفسير.

واشتهر عند المتأخرين أنّ التفسير غير التأويل فالتفسير:«هو المعنى الظاهر من الآية الكريمة. و التأويل هو المعاني الخفية التي تستنبط من الآية الكريمة، و التي تحتاج إلى تأويل وتفكير واستنباط، والتي تحمل عدة معان، و يرجح المفسر منها ما كان أقوى عن طريق النظر والاستدلال، و ليس هذ ا الترجيح بقطعي، بل هو ترجيح للأظهر و الأقوى، إذ الحكم بأن المراد قطعي تحكم في كتاب الله»[3]

الفرق بين التأويل والتفسير :

يعتبر التفسير مرحلة أولية سابقة للتأويل، أي أن التفسير أعم من التأويل الذي هو أخص. وذلك راجع إلى أنه في المرحلة الأولى يقوم المفسر بتفسير ألفاظ وكلمات القرآن، باعتماده على إيراد ما في معنى الآية من آيات أخرى، و روايات و أقوال مأثورة وأحاديث صحيحة، وأقوال للصحابة و التابعين، و أسباب نزول و ناسخ و منسوخ، وتوجيه قراءات، و إعراب شواهد شعرية.

إنّ التفسير هو تفسير لظاهر الآية، و إيراد المعنى القريب المتبادر إلى الذهن، و يعتمد في ذلك على العلم الصحيح و من ثم يكون تفسير الآية من باب الجزم و القطع، أمّا التأويل فهو مرحلة ثانية تكون بعد فهم المعنى الظاهر للآية – الذي هو التفسير – ، ويتم ذلك بإمعان النظر

[1])- ابن فارس معجم مقاييس اللغة 158/1، 162
[2])- أنظر: ابن جرير الطبري، جعفر بن جرير الطبري، 310/224هـ ، جامع البيان في تفسير القرآن، دار الفكر بيروت، لبنان ط1، 1405هـ 64/1/54/1، 601/2، 13/3...... و الحقيقة أن وردت بكثرة لديه بهذا المعنى.
[3])- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط2، 1981، ص62.

في الجمل والتراكيب والآيات، وإعمال النظر و العقل في فهم باطن الآية، والالتفات إلى لطائفها، وإشاراتها وإيحاءاتها واستخراج حقائقها ودلالاتها ، وملاحظة المعنى البعيد غير المتبادر إلى الذهن ،مع مراعاة معلوماته التفسيرية السابقة ، والرجوع إليها حتى لا تتعارض مع تأويلاته[1].

والتأويل عمل ذاتي؛ فهو ثمرة تدبر المفسر للقرآن وشخصيته.

روى "**البخاري**" في كتاب التفسير من "**صحيحه**":«عن "**سعيد بن جبير**" عن "**عبد الله بن عباس**" رضي الله عنهما قال :« كان "**عمر**" يدخلني مع أشياخ بدر فقال بعضهم لم تدخل هذا ولنا أبناء مثله. فقال: إنّه ممّن قد علمتم. قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم. قال: وما أريته دعاني يومئذ إلاّ ليريهم مني فقال: ما تقولون في: (**إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا**) حتى ختم السورة. فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا وقال بعضهم لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا فقال: لي يا "**ابن عباس**" أكذلك تقول، قلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعلمه الله له إذا جاء نصر الله والفتح فتح مكة فذاك علامة أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا. قال "**عمر**": ما أعلم منها إلا ما تعلم »[2].

إذن نذهب إلى القول بأنّ كلّ مؤوّل مفسر و ليس كل مفسر مؤول، لهذا لم يكن كلّ الصحابة مؤولين للقرآن، و إن كانوا جميعا يعلمون تفسيره, و كان "**ابن عباس**" من السابقين الذين تميزوا بتفسير القرآن و تأويله معا. حتى سمي بـ:"**ترجمان القرآن**".

اتجاهات التفسير:

لا ريب أنّ التفسير مر بأطوار كثيرة، حتى اتخذ هذه الصورة التي نجده عليها الآن في بطون المؤلفات و التصانيف، بين مطبوع و مخطوط، و لقد نشأ التفسير مبكرا في عصر النبي الذي كان أول شارح لكتاب الله تعالى، يبين للنّاس ما نزل على قلبه، أمام صحابته الكرام كانوا يجرؤون على تفسير القرآن وهو بين أظهرهم، يتحمل هذا العبء العظيم، و يؤديه حق الأداء، حتى إذا لحق بالرفيق

---

[1])- محمد الغزالي التفسير الموضوعي، 15،14.

[2])- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي(194 هـ/256هـ)، صحيح البخاري، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، 1987/1407،ط3، تـ: مصطفى ديب البغا 1563/4.

الأعلى - لم يكن بد للصحابة العلماء بكتاب الله، الواقفين على أسراره، المهتدين بهدي النبي من أن يقوموا بقسط في بيان ما علموه وتوضيح ما فهموه[1].

و المفسرون من الصحابة كثيرون، إلاّ أنّ المشاهير منهم عشرة: الخلفاء الأربعة، و"**ابن مسعود**"، و"**ابن عباس**"، و"**أبي بن كعب**"، و"**زيد بن ثابت**"، و"**أبو موسى الأشعري**"، و"**عبد الله بن الزبير**" .أمّا الخلفاء فأكثر من روي عنه منهم، "**علي بن أبي طالب**" والرواية عن الثلاثةقليلة جدا و كأنّ السبب في ذلك تقدم وفاتهم[2]

وأهم الاتجاهات التي ظهرت في التفسير هي:

التفسير بالمأثور:

يشتمل التفسير بالمأثور ما جاء في القرآن نفسه من البيان و التفصيل لبعض آياته، و ما نقل عن الرسول و ما نقل عن الصحابة ψ و ما نقل عن التابعين من كل ما هو بيان، وتوضيح لمراد الله تعالى من نصوص كتابه الكريم.

ولقد أدرج صاحب كتاب "**التفسير والمفسرون**" في التفسير بالمأثور ما روي عن التابعين إن كان فيه خلاف: هل هو من قبيل المأثور أو من الرأي لأنّه وجد في كتب التفسير كتفسير "**ابن جرير**" وغيره، لم تقتصر على ما روي عن النبي ρ وما روي عن أصحابه بل ضمت إلى ذلك ما نقل عن التابعين في التفسير.[3]

وعرّفه "**محمد علي الصابوني**": « هو ما جاء في القرآن، أو السنة أو كلام الصحابة، أو تفسير القرآن بالسنة النبوية، أو تفسير القرآن بالمأثور عن الصحابة»[4]. وأعلى درجات التفسير بالمأثور :

أ- تفسير القرآن بالقرآن :

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى:(**أحِلَّت لَكُم بَهِيمَةَ الأنْعَامِ إلاَّ مَا يُتلَى عَلَيْكُم**)[المائدة: 1]. فقد جاء تفسير قوله تعالى:(**إلاَّ مَا يُتلى عليكم...**) في آية أخرى من قوله تعالى:(**والسَّمَاءِ**

[1])- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت ط 16،.ص289.
[2])- جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن تحقيق أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1975, 318/2.
[3])- محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، أم القرى، ط 4، 1988. 154/1.
[4])- التبيان في علوم القرآن، ص63.

والطارق..)[الطارق:01]. جاء تفسير الطارق في نفس السورة (**...النجم الثاقب**) [الطارق : 03.][1]، و يعتبر هذا النوع أعلى درجات التفسير، و لا شك في قبوله لأنّ الله تعالى أعلم بمراد نفسه من غيره. و كتاب الله تعالى أصدق الحديث لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

ب – تفسير النبي:

و هو ثاني أعلى درجات التفسير. و مثال ذلك ما جاء في السُنّة المطهرة: عن **"ابن عباس"**قال:« سأل رجل رسول الله قال: أرأيت قول الله:(**كما أنزلنا على المقتسمين**)[الحجر :90]، قال: اليهود و النصارى،قال، قال: (**الذين جعلوا القرآن عضين**) [الحجر :91] ما عضين؟: آمنوا ببعض و كفروا ببعض.

و فسر الرسول الآية الكريمة:(**هل جزاء الإحسان إلا الإحسان**)[الرحمان :60] بقوله:« هل جزاء من أنعمت عليه بالإسلام إلاّ الجنَّة»[2].

و يأتي تفسير القرآن بالسنة في الدرجة الثانية بعد تفسير القرآن بالقرآن، لأنّ الرسول قد بيَّن مهمة القرآن و ذكر أنّ مهمته التوضيح و البيان: (**وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم**)[النحل/ 44] و ما جاء عن رسول الله من شرح أو بيان بسند صحيح ثابت فإنّه حق يجب اعتماده[3].

جـ تفسير الصحابة:

و هو يلي في المقام حديث النبي لأنّهم عايشوا التنزيل، فكانوا أقرب النّاس فهما لكلام الله بعد النبي ، و من أمثلة تفسير الصحابة للقرآن الكريم: أنّ رجلا أتى **"ابن عمر"** يسأله عن قوله تعالى: (**أولم ير الذين كفروا أنّ السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما**) [الأنبياء :30].

فقال: اذهب إلى **"ابن عباس"** ثمّ تعال أخبرني، فذهب فسأله فقال: كانت السَّماوات رتقا لا تمطر و كانت الأرض رتقا لا تنبت ففتق هذا بالمطر، و هذا بالنبات، فرجع الرجل إلى **"ابن عمر"** فأخبره فقال: قد كنت أقول:« ما يعجبني جرأة **"ابن عباس"** على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنّه أوتي علما[4].

---

[1])- السابق ص65.
[2])- التبيان في علوم القرآن، ص 65.
[3])-محمد الغزالي كيف نتعامل مع القرآن، دار الرجاء، عنابة، د ت ط، ص 165. 196
[4])-محمد حسين الذهبي التفسير و المفسرون، 69/1.

و عنه أيضا أنّه سئل عن قوله تعالى: **(فرت من قسورة)** [المدثر/ 51] فقال:«هو الأسد بالعربية و بالفارسية شلو و بالقبطية أريان و بالحبشية قسورة»[1]

و لا يعتبر علم التدبر حشرا لأقوال و آراء أهل التأويل و الإكثار من عرض ما قال النّاس، فلا يكون المتدبر متدبرا حقا، حتى يعرف ما ينتقي من آراء أهل التأويل. و يعرف ما يدع، ويعرف ما هو ساقط مردود، و ما هو محتمل، و ما هو راجح، و ما هو حق للرد عليه، وما هو بعض المعنى المراد، و ما لا يمكن أن يكون مرادا أي: أن تكون لديه الملكة لذلك و إلاّ عرضته للخطأ في بعض الأحيان[2].

و كذلك ينبغي على المفسر النظر أيضا في ما ورد من آراء المفسرين المعتمدين، وأقوال أهل التأويل المعتبرين و مفاهيمهم. فمن شأن هذا النظر في ما ورد من آراء المفسرين، وأقوال أهل التأويل أن لا يتأثر المتدبر تأثرا كاملا، و لكن عله أن يتأمل ويحرر ويميز المقبول من المردود.

التفسير بالرأي:

من الإشكاليات التي طرحت قديما مشكلة النهي عن التفسير بالرأي، و قد طرح هذا النهي لونا من التخوف، و أوجد حاجزا نفسيا يحول دون النظر في القرآن الكريم، و حصر بعضهم في ضوء ذلك على التوقف عند حدود التفسير بالمأثور و عدم إتاحة الفرصة للعقل في التدبر و النظر، و هذا إن صح في العبادات التوقيفية فلا يصح في شؤون الحياة الأخرى المتطورة و التي لا بد من الانطلاق و الامتداد على هدى القرآن الكريم والاعتراف منه على مدى الزمن بكل انجازاته لأنّ ذلك من مقتضى الخلود[3]

معنى التفسير بالرأي:

يطلق الرأي على الاعتقاد و على الاجتهاد و على القياس، و منه أصحاب الرأي أي أصحاب القياس، و المراد بالرأي هنا الاجتهاد، و عليه فالتفسير بالرأي هو عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب. ولقد وقف العلماء من التفسير بالرأي موقفين مختلفين:

---

[1])-ابن جرير الطبري تفسير الطبري، 170/29.

[3])-محمد الغزالي كيف نتعامل مع القرآن، ص 195.

قوم تشددوا في ذلك فلم يجرؤوا على تفسير شيء من القرآن و إنّما رأوا أن يكون المصير و الرجوع إلى ما روي عن النبي و عن الصحابة أو التابعين.

و قوم على العكس من ذلك رأوا أنّ من كان ذا أدب واسع، فموسع له أن يفسر القرآن برأيه و اجتهاده(1).

و الفريقان على طرفي نقيض، و كل يعزز رأيه و يقويه بالأدلة، و لقد حرر "**محمد الغزالي**" الخلاف قائلا:« أعتقد أن الرأي الذي نهينا عن تفسير القرآن به هو الهوى... وهو أن يكون الإنسان سيء النية أو متجها إلى مأرب من المآرب فيتلو القرآن و يلوي عنقه كي يخدم المأرب أو هذا المأرب... وهذا هوا لمحرم مشرعا لا أن يكن للإنسان رأي في تفسير القرآن، مع ضوابط اللغة التي لا يمكن اختراقها»(2).

و لقد ذهب "**صبحي الصالح**" إلى أنّ مكمن المنع يكون عند الجزم بأنّ مراد الله تعالى من غير برهان، أو محاولة تفسير القرآن مع جهل المفسر بقواعد اللغة، و أصول الشرع، أو تأييد بعض الأهواء بآيات من القرآن زورا و بهتانا. و لقد دعا القرآن الكريم إلى تدبر آياته وفقه تعاليمه: (**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**)[محمد /24]. و قال: (**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب**)[ص/29](3).

و لقد ذكر "**الزركشي**" ضوابط لابد من مراعاتها عند التفسير بالرأي:

أولا: النقل عن رسول الله مع التحرز عن الضعيف و الموضوع

ثانيا: الأخذ بقول الصحابي فقد قيل: إنّه في حكم المرفوع مطلقا وخصه بعضهم بأسباب النزول و نحوها ممّا لا مجال للرأي فيه.

ثالثا: الأخذ بمطلق اللغة مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى ما لا يدل عليه الكثير من كلام العرب.

---

[1])- التفسير و المفسرون، 146/1.
[2])- كيف نتعامل مع القرآن، ص195.
[3])- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت, ط 16، ص291,, 292

رابعا: الأخذ بما يقتضيه الكلام، و يدل عليه قانون الشرع[1].

و أضاف "**محمد الغزالي**" بعض الضوابط التي رآها لازمة عند التفسير بالرأي:

الأول: الالتزام بفهم القرآن الكريم من خلال معهود العرب في الخطاب.

الثاني: استصحاب الصحيح من المأثور ليكون وسيلة معينة على الفهم و ضابطا من خطرات القلوب و مجازفات الهوى.

الثالث: التعرف على أسباب النزول لتكون وسائل إيضاح معينة لتعدد الرؤية و تنزيل النص على الواقع المعيش.

الرابع: عدم الخروج على قواعد المنطق و العقل السليم، أو ما تقتضيه الفطر السليمة الصحيحة. و دلالة الألفاظ و الصيغ.

الخامس: عدم الخروج بالتفكير أو بالرأي عن المقاصد العامة، التي حددت في القرآن على أنّها مسلمات.

السادس: الاستفادة من الكسب العلمي، و الحقائق المعرفية في مبادئ الحياة الاجتماعية وغيرها و التي أصبحت حقائق أثناء النظر للآيات، و في الوقت نفسه جعل الآية قيمة عامة موجهة لحركة النظر و الفكر[2].

التفسير الموضعي و الموضوعي:

هو مركب من كلمتين، أمّا التفسير فقد سبق تعريفه، أمّا الموضوعي فإنّ نسبته إلى الموضوع و الموضوع شقه من الوضع.

و **الوضع**: جعل الشيء في مكان ما سواء كان ذلك معنى الحط و الخفض، أو بمعنى الإبقاء و التثبيت في المكان.

الأول وضع مادي حسي و منه وضعه على الأرض، بمعنى حطه و إلقاؤه و تثبته عليها الثاني وضع معنوي و منه، الوضيع و هو الدنيء المهان الذليل الذي قعدت به همته أو نسبه فكأنه ملقى على الأرض موضوع عليها، لا يفارق موضعه الذي التصق به والنوعان يلتقيان

---

[1])- الزركشي البرهان، 1997. 165.162/1.
[2])- كيف نتعامل مع القرآن، ص 197.

علـى البقـاء فـي المكـان، و عـدم مغادرتـه. و هـذا المعنـى ملحـوظ فـي التفسير الموضـوعي. لأنّ المفسر يرتبط بمعنى معين، و موضـوع محدد من موضـوعات القرآن يبقـى معـه و لا يتجـاوزه إلى غيره حتى يفرغ منه[1]

مصطلح التفسير الموضوعي:

مصطلح معاصر استخدمه المفسرون و البـاحثون المعاصرون، و أطلقوه علـى الأبحـاث والدراسة التي تتناول موضوعا من موضوعات القرآن.[2]

و لقد أورد "**مصطفى مسلم**" خمسة تعريفـات معاصـرة لهـذا المصطلح، و مـال إلـى ترجيح التعريف الـذي يقول:« التفسير الموضـوعي هو علم يتنـاول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة قرآنية أو أكثر»[3].

التفسير الموضعي:

هو الذي يرجع فيه المفسر إلى موضع واحد من القرآن الكريم، متتبعا ترتيب الآيـات فـي سوره، و هـذا اللـون قـد يكـون بالمـأثور و بـالرأي المحمود، و قد يكون تحليليـا عنـد التفصيل وإجماليا عند الاختصار، و قد يكون مقارنـا إذا تتبع المفسر منهج الموازنة[4]

و يـسمى كـذلك التفـسير الموضـعي تفـسيرا جزئيـا، لأنّ المفـسر يقـوم بتجـزيء الآيـة وتقسيمها إلى عدة جمل ثمّ يتكلم عن جملها جملة جملة. و قد يتكلم عن كلماتها كلمة كلمة[5].

التفسير الموضـوعي هو الـذي يلتـزم فيـه المفسر موضـوعا لا موضـوعا بعينـه، فيجمـع الآيات الكريمة من مواضعها، و يقيم منها بناء متكاملا، يقرر موقف القرآن من قضية مـا ولـذلك يطلـق عليـه أيضا التفسير التوحيـدي، لأنّ المفسر يقـوم بتوحيـد الآيـات المختلفـة التـي تتنـاول موضوعا واحدا و يستخرج حقائقها و إيحاءاتها المختلفة[6]

---

[1])- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، 15/عن التفسير الموضوعي 29.
[2])- نفسه، ص29.
3)- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، 16. عن التفسير الموضوعي 30.
[4])- التفسير الموضوعي، 40، 41
[5])- نفسه 40، 41.
[6])- السابق 40، 41

و التفسير الموضعي و الموضوعي مرحلتان متكاملتان، وخطوتان متدرجتان متتابعتان، ولا يجوز أن نخطو الخطوة الثانية بمعزل عن الأولى، و يجب على من أراد التفسير الموضوعي أن يحقق و يحصل على التفسير الموضعي أولا.[1]

قال "**محمد باقر الصدر**" حول هذه المسألة:« إذن فالتفسير الموضوعي في المقام أفضل الاتجاهين في التفسير.»[2].

ألوان التفسير الموضوعي:

التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

و يعنى هذا اللون بالمصطلحات، المفردات القرآنية حيث يختار الباحث لفظا من ألفاظ القرآن ورد كثيرا في السياق القرآني فيتتبعه في السور و الآيات، و يعرض إلى اشتقاقاته وتصاريفه و يستخرج منها الدلالات و اللطائف و الحقائق و من أمثلة ذلك "**السلم**" "**الجهاد**" "**الأمة**" "**العدل**"... و قد وجدت عند العلماء السابقين إشارات إلى هذا اللون في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني أمثال "الراغب الأصفهاني".[3].

التفسير الموضوعي لموضوع القرآن:

و يهتم بموضوعات القرآن العامة حيث يختار الباحث أحد الموضوعات و ينظر في آيات القرآن التي عرضته و يستخرج منها الدلالات المختلفة. و من موضوعات القرآن التي

تحقق هذه الخاصية، نظام الحكم من خلال القرآن، الظلم، الصبر في القرآن، الشخصية اليهودية من خلال القرآن.... و غيره[4]

التفسير الموضوعي للسورة القرآنية:

و يختار الباحث السورة من القرآن الكريم و ينظر نظرة موضوعية متدبرة و يتعرف إلى موضوع السورة و مقاصدها و أهدافها و يتعرف على الخطوط الرئيسية التي تجمع مختلف

---

1)- نفسه 44. 45.
2)- محمد باقر الصدر، المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط 1981.ص37. 38
3)- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي 23, 29عن التفسير الموضوعي 52. 53.
4)- التفسير الموضوعي، 54. 55.

موضوعاتها الفرعية و يخرج من ذلك بتحليل موضوعي موسع، و دراسة موضوعية متكاملة تبدوا معها تلك الصورة وحدة موضوعية متناسقة.

و من الذين استشرفوا الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية "**الزمخشري**" "**الرازي**"، "**النيسابوري**" و من أكثر المفسرين السابقين إدراكا لهذا اللون، "**برهان الدين ا لبقاعي**" في تفسير "**نظم الدرر، في تناسب الآي و السور**". و من المعاصرين الذين قالوا بالوحدة الموضوعية للسورة، "**رشيد رضا**" في "**تفسير المنار**"، و "**سيد قطب**" "**في الظلال**"، و"**عبد الحميد الفراهي**"، في تفسيره "**نظام القرآن و تأويل الفرقان بالفرقان**"...»[1].

التعريف بعلم الدلالة:

و هو مركب تركيبا إضافيا علم ودلالة، لابد من الرجوع للأصل اللغوي لهذه الكلمة وهي من مادة:

د ل ل الدَّلِيلُ ما يستدل به و الدليل الدال و قد دَلَّهُ على الطريق يدله بالضمِ دَلاَلةً، بفتح الدال و كسرها و دُلُولةً بالضم و الفتح أعلى و يقال أدَلَّ فأمل و الاسم الدَّالَّةُ بتشديد اللام وفلان يُدِّلُ بفلان أي يثق به قال "**أبو عبيد**" الدَّلُّ قريب المعنى من الهدي و هما من السكينة و الوقار في الهيئة و المنظر و الشمائل و غير ذلك و في الحديث كان أصحاب "**عبد الله**" يرحلون إلى "**عمر**" τ عنه فينظرون إلى سمته و هديه و دله فيتشبهون به[2].

يعرف علم الدلالة بأسماء متعددة و أشهرها (semantics) أمّا في العربية فيعرف بعلم الدلالة و يسميه بعضهم علم المعنى و بعضهم يسميه"**السيمانتيك**" تعريبا مباشرا للكلمة.

و هو العلم الذي يتناول المعنى «هو الفرع من علم اللغة الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الدليل[*] اللغوي حتى يكون قادرا على حمل المعنى».[3]

و بين علم الدلالة الذي هو فرع من فروع الدراسات اللغوية النظرية و علم التفسير الذي يحاول الكشف عن المعاني، ابتدءا من المفردات تداخل واضح و لذلك كنا لزاما علينا أن نعرف علمي التفسير و الدلالة معا.

---

[1])- السابق56، 57.
[2])- محمد بن أبي بكر الرازي، مختار الصحاح، د/ مصطفى ديب البوغا، دار الهدى، عين مليلة ط 2،1990, مادة د،ل،ل, 88/1.
[*])- فضلنا استعمال الدليل اللغوي بدل الرمز اللغوي إقتداء باللساني الجزائري د:عبد الرحمن الحاج صالح.
[3])- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص12/11

المبحث الأول:
الترادف

المبحث الأول: الترادف

الأصل في كلّ لغة أن يوضع فيها اللفظ الواحد لمعنى واحد؛ أي أن يكون بإزاء المعنى الواحد فيها لفظ واحد، و لكن هنالك ظروفا تنشأ في اللغة، تؤدي إلى تعدد الألفاظ لمعنى واحد أو تعدد المعاني للفظ واحد(1). و قد أشار إلى هذا قديما في اللغة العربية **"سيبويه"**، عندما قال: «اعلم أنّ من كلامهم اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، و اختلاف اللفظين والمعنى واحد، واتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»(2)

فـ**"سيبويه"** في هذا القول يشير إلى ثلاثة أنواع من ألفاظ اللغة من حيث دلالاتها، و هي:

أولا:المتباين:[اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيينِ]: و هو أكثر اللغة و ذلك أن يدل اللفظ الواحد على معنى واحد.

ثانيا: المشترك اللفظي [اتفاق اللفظين و المعنى مختلف]: و هو أن يدل اللفظ الواحد على أكثر من معنى، و قد يستعمل اللفظ الواحد لمعنيين متضادين و هذا ما يسمى بالتضاد.

ثالثا: المترادف:[اختلاف اللفظين و المعنى واحد]: و هو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد.

و النوعان الثاني و الثالث هما موضع اهتمام الدارسين قديما و حديثا.(3)

و هما مصب النقاش و احتدام الصراع بين علماء اللغة، و قد أخذا حيزا كبيرا من جهود هؤلاء العلماء، حيث جعل بعضهم مصنفات خاصة لكل منهما، و بعضهم أوردهما في ثنايا مصنفاتهم المختلفة.

و الحقيقة أنّه لم تغن لغة، بمثل ما غنيت به اللغة العربية، من تعدد المفردات الدالة على معنى واحد من ناحية، أو تعدد معاني اللفظة الواحدة إلى درجة التضاد بينهما في بعض الأحيان من ناحية أخرى.

---

1)- رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، /1994/1415، ص 308.

2)- أبو بشر عمر عثمان بن قنبر المعروف بـ: سيبويه، الكتاب، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل بيروت ط1، 24/1.

3)- علم الدلالة، ص145.

و إذا كان المحدثون من علماء اللغات، يسلمون بوقوع أمثلة من هذه الأنواع الثلاثة في اللغات المختلفة، فإنّ اللسان العربي، قد طال باعه وامتد ذراعه في كلّ نوع من هذه الأنواع ويعزى سبب تضخم المعجم العربي، إلى كثرة أمثلة المترادف و المشترك والأضداد(1).

و ما يهمنا من هذه الأنواع الثلاثة، النوع الثالث، أي]**الترادف**[.

وسأحاول الوقوف على سر هذه الظاهرةالموجودة في العربية مع ربط ذلك بالقرآن الكريم.

أولا تعريف الترادف:

ا- **لغة**: جاء في "**لسان العرب**":« ردف: الردف :ما تبع الشيء. و كلّ شيء تبع شيئا فهو ردفه، و إذا تتابع شيء خلف شيء فهو الترادف و الجمع الردافى.

و يقال: جاء القوم ردافى أي بعضهم يتبع بعضا و يقال للحداة الردافى.

و قيل: الردافى الرديف. و هذا أمر ليس له ردف أي ليس تبعة.

و أردفه أمر: لغة في ردفه مثل تبعه و أتبعه بمعنى.

و ترادف الشيء: تبع بعضه بعضا، و الترادف: التتابع.»(2)

ب - اصطلاحا:

عند القدماء:

يقول الإمام "**فخر الدين الرازي**" في تعريفه للترادف: «هو الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد... و الفرق بينه و بين التوكيد أنّ أحد المترادفين يفيد ما أفاده الآخروفي التوكيد يفيد الثاني تقوية الأول، و الفرق بينه و بين التابع لأنّ التابع لا يفيد شيئا كقولنا: عطشان و نطشان»(3)

عند المحدثين:

1)- د: رمضان عبد التواب، فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1994/1415، ص 309.

2)-ابن منظور لسان العرب مادة [ردف]

3)- جلاا الدين السيوطي المزهر، 402/1.

يختلف تعريف الترادف عند المحدثين حسب نوع المعنى المقصود[1]، و المنهج المتبع في تعريف المعنى. و عليه تكون للترادف عدّة تعاريف:

النظرية التصورية*:

تعريف أصحاب النظرية التصورية للمعنى هو: الصورة الذهنية للشيء أو العلاقة بين الرمز والصورة[2]، و لهذا يتحقق الترادف عندهم إذا كان التعبيران يدلان على نفس الفكرة العقلية أو الصورة[3].

النظرية الإشارية:

يعرف أصحاب النظرية الإشارية المعنى؛ بأنّه الشيء المشار إليه أو العلاقة بين الرمز والشيء الخارجي[4].

ولهذا يتحقق الترادف عندهم، إذا كان التعبيران يستعملان مع نفس الشيء بنفس الكيفية[5].

النظرية السلوكية:

يتحقق الترادف عندهم، إذا كان التعبيران متماثلين عن طريق اتصال كلّ منهما بنفس المثير و الاستجابة[6]. لأنّهم يعرفون المعنى بالموقف و الاستجابة لمثير كلامي معين[7].

النظرية التحليلية:

---

[1])- أشهر أنواع المعنى:"المعنى الأساسي، المعنى الإضافي، المعنى الأسلوبي، المعنى النفسي، المعنى الإيحائي، ينظر علم الدلالة، ص 36 و ما بعدها.

*أصجاب هذه النظرية هم سوسير الذي يرى أن المدلولات ماهي إلا تمثلات للصوت الغويوبالتالي فالعلاقةهي تصور بصورة سمعية.

[2])- ينظر المرجع السابق، ص 58/57.

[3])- علم الدلالة، 228.

[4])- نفسه، 57/56/55.

[5])- نفسه، ص 223

[6])- نفسه، ص 224.

[7])- نفسه ص 59 و ما بعدها.

يعرف أصحاب النظرية التحليلية المعنى بأنّه تجمع من عناصر دلالية تمييزية ذات علاقة متبادلة[1]. فالترادف يتحقق عندهم إذا كانت الشجرة التفريعية لإحدى الكلمتين تملك نفس التركيب التفريعي للأخرى، أو إذا اشترك اللفظان في مجموع الصفات الأساسية و التمييزية[2].

النظرية السياقية:

تعريف أصحاب هذه النظرية للمعنى هو: استعمال الكلمة في اللغة و الدور الذي تؤديه في صحبة غيرها[3]. و لذلك يكون التعبيران مترادفين في لغة ما؛ إذا كان يمكن تبادلهما في أي جملة في هذه اللغة دون تغيير القيمة الحقيقية لهذه الجملة[4]. و كذا الكلمات المترادفة هي الكلمات التي تنتمي إلى نفس النوع الكلامي، أسماء و أفعال. و يمكن أن تتبادل في الموقع دون تغيير المعنى، أو التركيب النحوي للجملة[5].

نظرية الحقول الدلالية:

يعرف أصحاب هذه النظرية المعنى أنّه محصلة علاقة الكلمة بالكلمات الأخرى داخل الحقل الدلالي[6]، و عليه فالترادف تضمن من جانبين (أ) و (ب)، يكونان مترادفين إذا كان (ا) يتضمن (ب) و(ب) يتضمن (ا)[7].

و الترادف عند المحدثين نوعان:

ترادف مطلق أو كامل:

يكون عند الاتحاد التام في الدلالات المركزية و الهامشية، و التبادل بينهما في كلّ السياقات بحرية، و عدم الشعور بأي فرق بينهما، و بهذا المفهوم يكاد يجمع الباحثون على عدم وجود ه أو ندرته. كما سيتضح ذلك فيما بعد.

أمّا النوع الثاني هو شبه الترادف:

---

[1])- ينظر السابق، ص 114 و ما بعدها
[2])- علم الدلالة، ص224.
[3])- نفسه، ص 68 و ما بعدها
[4])- نفسه، ص 223
[5])- نفسه، ص 223
[6])- نفسه، ص 79 وما بعدها.
[7])- نفسه، ص 224.

و هو الغالب في هذا الباب و هو أن تتبادل الألفاظ المترادفة في دلالاتها المركزية والهامشية و لكنها لا تقبل التبادل التام في كلّ السياقات المختلفة[1].

الترادف بين الإثبات و الإنكار:

أولا موقف القدماء: لقد تأرجح موقف القدماء بين الإثبات توسيعا وتضييقا، والإنكار كليا.

المثبتون: وهم فريقان، فريق أثبته مطلقا أي وسع فيه، وفريق أثبته مقيدا إياه بشروط، أي ضيق فيه.

المثبتون مطلقا: يرى أصحاب هذا الرأي أن الترادف واقع بالفعل، و يقع على مر الأيام والأزمنة و هم يؤمنون بوقوعه مطلقا، و لا يحاولون تخريج أمثلة أو تأويلها و لهذا الرأي ذهب كثير من النحويين و اللغويين، أمثال "**الرماني**" الذي ألف كتابا خاصا بالترادف أسماه "**الألفاظ المترادفة المتقاربة المعنى**". و قد قسمه إلى مائة و اثنين و أربعون فصلا وخصص كلّ فصل لإحدى الدلالات، ثمّ سرد لكلّ فصل الألفاظ التي تعبر عن دلالاته، وقد تراوحت بين ثلاث كلمات في فصل، و نحو واحد وعشرين كلمة في فصل آخر، ويرى "**إبراهيم أنيس**" أنّ بعض هذه الكلمات لا تمت إلى الترادف بصلة[2].

و من أمثلة ما ذكر الرماني ما يلي:

فصل أخفى وستر:

أخفى و ستر، و أجن و أكن، و طوى و أبطن و أضم و غطى و كتم و أسر[3]

لمع, برق, و تألق, و توهج, و سطع, و زهر, و لاح, و لمح, و أومض, و أضاء, وأنار, و أشرق و تلألأ[4].

---

[1])- للتوسع ينظر: علم الدلالة، ص 220 و ما بعدها.

[2])- دلالة الألفاظ، ص 219.

[3])- الألفاظ المترادفة المتقربة المعنى، ص57.

[4])- السابق، ص 60.

فصل: (مريض, و سقيم):

مريض, و عليل, و سقيم, و دنف, و وجع, و منهوك, و عميد, و صب[1].

و من المثبتين للترادف مطلقا نجد كذلك "**الفيروز أبادي**", فقد شغف به أيما الشغف فأغرم به كثيرا, فألف فيه كتابا سماه "**الروض المسلوف فيما لها اسمان إلى ألوف**" الذي غني بالترادف.[2]

كما أفرد جمع من أئمة اللغة كتابا في أسماء أشياء مخصوصة, فألف "**ابن خالويه**" كتابا في أسماء الأسد, و كتابا في أسماء الحية، و من هؤلاء المثبتين "**كراع**" في كتابه "**المنتخب**" الذي عقد فيه بابا بعنوان :" **باب إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان**".

المثبتون بشروط :

و هم الذين أثبتوه و لكن قيدوه بشروط تحد من كثرة وقوعه و منهم الإمام "**فخر الدين الرازي**" الذي قصر الترادف على التطابق التام بين المعنيين، دون أدنى تفاوت فليس من الترادف عند السيف و الصارم, فقال:« واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد، فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف و الصارم، فإنّهما دلا على شيء واحد، و لكن باعتبارين: أحدهما على الذات و الآخر على الصفة..."[3].

و حجج المثبتين للترادف بأنّ جمع أهل اللغة « إذا أرادوا أن يفسروا اللب قالوا: هو العقل أو الجرح قالوا: هو الكسب, أو السكب، قالوا: هو الصب، و هذا يدل على أنّ اللب والعقل عندهم سواء. و كذلك الجرح و الكسب، و السكب و الصب، و ما أشبه ذلك»[4]، وهذا ما ذكره عنهم "**أبو هلال العسكري**" في كتابه "**الفروق في اللغة**".

و كذالك احتجوا بما نقله عنهم "**ابن فارس**": « و احتج أصحاب المقالة الأولى بأنّه لو كان لكلّ لفظة معنى غير معنى الأخر لما أمكن أن نعبر عن الشيء بغير عبارة، وذلك أنا نقول في"**لا ريب فيه**": لاشك فيه، فلو كان الريب غير الشك لكانت العبارة بمعنى الريب

---

[1])- نفسه، ص 66.
[2])- المزهر، ج1، ص407
7)- نفسه، ص 407.
[4])- أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة، ت: لجنة إحياء التراث العربي، في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت ط05، 1981 ، ص 16.

بالشك خطأ، فلما عبر بهذا عن هذا علم أنّ المعنى واحد. قالوا: و إنّما يأتي الشاعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد، تأكيدا، و مبالغة، كقوله: وهند أتى من دونها النأي والبعد.

قالوا:النأي هو البعد "[1].

و يروي أصحاب الترادف قصصا و أحاديث للبرهنة على رأيهم، فمن ذلك الحديث النبوي الأتي: الذي فيه ترادف بين السكين و المدية: عن **"أبي هريرة"** ، عن النبي قال: "بينما امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن إحداهما. فقالت هذه لصاحبتها: إنّما ذهب بابنك أنت. و قالت الأخرى: إنّما ذهب بابنك. فتحاكما إلى **"داوود** υ" فقضى به للكبرى فخرجتا على **"سليمان بن داود"** عليهما السلام. فأخبرتاه. فقال: ائتوني بالسكين أشقه بينكما فقالت الصغرى: لا . يرحمك الله هو ابنها. فقضى به للصغرى".

قال: **"أبو هريرة"**: و الله إن سمعت بالسكين قط إلاّ يومئذ. ما كنا نقول إلى المدية[2]. و لكن المثبتين مطلق قد غالوا فيه فـ**"ابن خالويه"** ذكر للأسد نحو خمسمائة كلمة، وللحي نحو مائتي كلمة، و يفتخر أن يحفظ للسيف خمسين أسما، و منهم من ذكر العسل نحو ثمانين كلمة[3].

إنّ **"سيبويه"** و**"ابن جني"** عالما اللغة العربية، أثبتا الترادف فالأول كما أشرنا إليه في البداية و الثاني قد أشار إليه في باب " **تعادي الأمثلة وتلاقي المعاني** "، و مثل له بالخليقة والسجية و الطبيعة و الغزيرة[3].

و في مقابل هؤلاء يوجد من أنكره كليا.

2)- المنكرون:

و هم الذين يرفضون وجود الترادف رفضا تاما، و من هؤلاء:

---

[1])- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ت د: عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف، بيروت ط1، 1993، ص97، المزهر، ج1، ص404 الحديث صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (261/206) دار إحياء التراث، بيروت، تـ:محمد فؤاد عبد الباقي 1344/3. صحيح البخاري 1260/3.

[2])- المزهر، ج1 ص407

[3])- ابن جني، الخصائص، ت:محمد علي النجار، دار الكتاب العربي بيروت، ط 20/ 1952 ،2 115/02،114،113.

"**أبو العباس احمد بن يحي ثعلب**" أستاذ "**ابن فارس**"، و قد نسب إليه هذا الإنكار للترادف تلميذه "**ابن فارس**" في قوله:« و هو مذهب شيخنا "**أبي العباس احمد بن يحي ثعلب**"»[1].

و قد أكد هذا الإنكار "**التاج السبكي**" في "**شرح المنهاج**":« ذهب بعض إلى إنكار الترادف في اللغة العربية، و زعم أنّ كلّ ما يظن من المترادفات فهو من المتباينات التي تتباين بالصفات، كما في الإنسان و البشر، فإنّ الأول موضوع له باعتبار النسيان، أو باعتبار أنّه يؤنس، و الثاني باعتبار أنّه بادي البشرة.. و كذا الخندريس العقار، فإنّ الأول باعتبار العتق، والثاني باعتبار عقر الدن لشدتها و تكلف لأكثر المترادفات بمثل هذا.

قال "**التاج**":« و قد اختار هذا المذهب "**أبو الحسن احمد بن فارس**" في كتابه الذي ألفه في فقه اللغة و العربية و سنن العرب وكلامها، و نقله عن شيخه "**أبي العباس ثعلب**"»[2].

أمّا قول "**ابن فارس**" نفسه في الترادف هو:يسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو: السيف- المهند الحسام -، و الذي نقوله في هذا أنّ الاسم واحد و هو السيف، و ما بعده من الألقاب صفات، و مذهبنا أنّ كلّ صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى[3].

و من أقوله له أيضا:« و كذلك الأفعال نحو: مضى و ذهب و أنطلق، و قعد و جلس، ورقد و نام و هجع، قالوا: ففي قعد معنى ليس في جلس و كذلك القول فيما سواه و بهذا نقول"[4].

و قوله أيضا:« إنّ في (قعد) معنى ليس في (جلس)، ألا ترى أنا نقول: قام ثمّ قعد و أخذ المقيم و المقعد، و قعدت المرأة عن الحيض، ثمّ نقول: كان مضطجعا فجلس، فيكون القعود عن القيام، و الجلوس عن حالة هي دون الجلوس، لأنّ الجلس المرتفع، و الجلوس عما هو دونه، و على هذا يجري الباب كله»[5].

---

[1] -(
[2] -(
[3])- أنظر: الصاحبي، ص 96
[4] -(
[5])- الصاحبي، ص 97.

"**أبو هلال العسكري**": الذي ألفه كتابه "**الفروق في اللغة**" الذي حاول في ثنايا كتابه أن يلتمس فروقا دقيقة بين بعض مدلولات بعض الألفاظ المترادفة، دون سند من نصوص أو شواهد[1].

و قد بدأ كتابه بهذا العنوان:« في الإبانة عن كون اختلاف العبارات والأسماء موجبا لاختلاف المعاني في كلّ لغة، و القول في الدلالة على الفروق بينها»[2].

الذي قال فيه: « الشاهد على اختلاف العبارات و الأسماء يوجب اختلاف المعاني عن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة و إذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف فالإشارة إليه ثانية و ثالثة غير مفيدة، و واضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد فإنّ أشير منه في الثاني و الثالث إلى خلاف ما أشير إليه في الأول كان ذلك صوابا فهذا يدل على أنّ كلّ اسمين يجريان على معنى من المعاني و عين من الأعيان في لغة واحدة فأنّ كلّ واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر و إلاّ لكان الثاني فضلا لا يحتاج إليه»[3].

و قد تطرق أيضا في هذا الكتاب إلى ما يعرف به الفرق بين هذه المعاني و أشباهها وذكر الفروق الآتية:

- الفرق الذي يعرف من جهة ما تستعمل عليه الكلمتان، كالفروق بين العلم و المعرفة، وذلك أنّ العلم يتعدى إلى مفعولين و المعرفة تتعدى إلى مفعول واحد فتصر فهما على هذا الوجه و استعمال أهل اللغة إياهما عليه يدل على الفروق بينهما في المعنى و هو أنّ لفظ المعرفة يفيد تمييز المعلوم من غيره و لفظ العلم لا يفيد ذلك إلاّ بضرب آخر من التخصيص في ذكر المعلوم[4].

الفروق الذي يعرف من جهة الصفات المعنيين، كالفروق بين الحلم و الإهمال و ذلك أنّ الحلم لا يكون إلاّ حسنا و الإهمال يكون حسنا و قبيحا[5].

الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار ما يؤول إلى المعنيين، كالفرق بين المزاح والاستهزاء و ذلك أنّ المزاح لا يقتضي تحقير الممازح و لا اعتقاد ذلك ألا ترى أنّ التابع

---

[1])- د/ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ, مكتبة الأنجلواالمصرية, سنة1997، ص 217.
[2])- الفروق في اللغة، ص 13
[3])- نفسه، ص13..
[4])- نفسه, ص 18
[5])- نفسه, ص 18

يمازح المتبوع من الرؤساء و الملوك فلا يدل ذلك منه ذلك على تحقيرهم و لا اعتقاد تحقيرهم و لكن يدل على استئناسه بهم، و الاستهزاء يقتضى تحقير المستهزأ به فظهر الفرق بين المعنيين بتباين ما دلا عليه و أوجباه[1].

الفرق الذي يعرف من جهة الحرف التي تعدى بها الأفعال، كالفرق بين العفو والغفران ذلك أنّك تقول أنّك عفوت عنه فيقتضي ذلك أنّك محوت الذم و العقاب عنه و تقول غفرت له فيقتضي ذلك أنّك سترت له ذنبه و لم تفضحه به[2].

الفرق الذي يعلف من جهة اعتبار النقيض، كالفرق بين الحفظ و الرعاية و ذلك أنّ نقيض الحفظ الإضاعة و نقيض الرعاية الإهمال لهذا يقال للماشية إذا لم يكن لها راع همل.

والإهمال يؤدي إلى الإضاعة فعلى هذا يكون الحفظ صرف المكاره عن الشيء فقط.

و الرعاية فعل السبب الذي يصرف به المكاره عنه. و لو لم يعتبر في الفرق بين هاتين الكلمتين و ما بسبيلهما النقيض لصعب معرفة الفرق بين ذلك[3].

الفرق الذي يعرف من جهة الاشتقاق، كالفرق بين التلاوة و القراءة و ذلك أنّ التلاوة لا تكون في الكلمة الواحدة. و القراءة تكون فيها تقول قرأ فلان اسمه و لا تقول تلا اسمه. وذلك أنّ أصل التلاوة من قولك: تلا الشيء يتلوه إذا تبعه، فإذا لم تكن الكلمة تتبع أختها لم تستعمل فيها التلاوة و تستعمل فيها القراءة، لأنّ القراءة اسم لجنس هذا الفعل[4].

الفرق الذي توجبه لا يكون إلاّ لما يجهله المستفهم أو يشك فيه، لأنّ المستفهم طلب لأنّ يفهم، و قد يجوز أن يسأل السائل عما يعلم و عما لا يعلم، فالاستفهام و هو استفعال، و الاستفعال للطلب يبنى عن الفرق بينه و بين السؤال. و كذلك كلّما اختلفت صيغته من الأسماء و الأفعال، فمعناه مختلف مثل الضعف و الضعف و الجهد و الجهد و غير ذلك ممّا يجري مجراه[5].الفرق الذي يعرف من جهة اعتبار اللفظ في اللغة و حقيقته فيها، كالفرق بين الحنين و الاشتياق، و ذلك أنّ أصل الحنين في اللغة صوت من أصوات الإبل، تحدثها إذا

---

[1])- نفسه, ص 18.
[2])- نفسه، ص 18
[3])- نفسه, 19
[4])- نفسه، ص 19
[5])- نفسه، ص 19

اشتاقت إلى أوطانها ثمّ كثر ذلك حتى أجري اسم كلّ واحد منهما على الآخر كما يجري على السبب، فإذا اعتبرت هذه المعاني و ما شاكلها في الكلمتين، و لم يتبين لك الفرق بين معنييهما، فاعلم أنّهما من لغتين(*) مثل القدر بالبصرية، و البرمة بالمكية، ومثل قولنا الله بالعربية و آزر بالفارسية[1].

و يعد ما قدمه "**أبو هلال العسكري**" في كتابه "**الفروق**" من عمل دلالي متميز، رغب أن يظهر من خلال أبوابه الثلاثين المساحات الدلالية لعدد من الألفاظ التي تتقارب وتتداخل عند أهل اللغة، ثمّ الفروق أو الحدود الفاصلة بينهما[2].

"**أبو علي الفارسي**": الذي يري أنّه كان بمجلس "**سيف الدولة**"، و بحلب وبالحضرة جماعة من أهل اللغة، و فيهم "**ابن خالويه**"، فقال "**ابن خالويه**": أحفظ للسيف خمسين اسما. فتبسم "**أبو علي**"، و قال: ما أحفظ إلاّ اسما واحدا، و هو السيف قال "**ابن خالويه**": فأين المهند و الصارم و كذا و كذا ؟ فقال "**أبو علي**": هذه صفات، و كأنّ الشيخ لا يفرق بين الاسم و الصفة[3].

"**ابن درستويه**": الذي يقول في "**شرح الفصيح**" لـ"**ثعلب**":« لا يكون فعل و أفعل بمعنى واحد كما لم يكونا على بناء واحد، إلى أن يجيء ذلك في لغتين مختلفتين، فأمّا في لغة واحدة فمحال أن يختلف اللفظان والمعنى واحد، كما يظن كثير من اللغويين و النحويين، و إنّما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها.... و لم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفروق، فظنوا أنّهما بمعنى واحد..... و ليس يجيء شيء من هذا الباب، إلا على لغتين متباينتين كما بينا، أو يكون على معنيين مختلفين، أو تشبيه شيء بشيء»[4].

- "**ابن الأعرابي**": يرى أنّ كلّ حرفين أوقعتها العرب على معنى واحد، في كلّ واحد منها معنى ليس في صاحبه، ربما عرفناه فأخبرنا به، و ربما غمض علينا، فلم نلزم العرب جهله[5].

(*)- مفهوم اللغة هنا معناه اللهجة la diqlectele، لأنّها انحراف صوتي أو تركيبي أو دلالي يصيب لغة ما.
[1]- نفسه، ص 19.
[2]- علم الدلالة العربي، ص 24، 25.
[3]- المزهر، ج 1، ص 405.
[4]- نفسه، ص 384.
[5]- نفسه، ص 399

ثانيا: موقف المحدثين:

لقد جرى عند المحدثين نفس الخلاف الذي حدث بين القدماء، و إن كنا نجد هذه المرة محاولات صادقة عند من أثبتوا الترادف لتعريفه و تقسيمه و توضيحه توضيحا تاما[1].

و خلاف المحدثين يتعلق بالترادف الكامل و أغلبيتهم على إنكاره[2]. كما سيتضح ذلك من أقوال و آراء العلماء المنقسمة بين الإنكار و الإثبات.

1- المنكرون

1- "**بلومفيلد Bloomfield**": يقول: « إنّنا ندعي أنّ كلّ كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنى ثابتا مختلفا عن الأخرى و مادامت الكلمات مختلفتا صوتيا فلا بد أن تكون معانيها مختلفة كذلك. و على هذا فنحن –في اختصار- نرى أنّه لا يوجد ترادف حقيقي»[3].

2- "**جورج F.H. George**": يقول: « يتلخص موقفه في قوله:« إذا كانت كلمتان مترادفتين من جميع النواحي ما كان هناك سبب بوجود الكلمتين معا»[4].

3- "**لهرر Lehrer**": « إذا اشترطنا التماثل التام بين المفردتين، فلن يكون هناك مترادفات، و لكن قد يكون هناك عدد من المفردات المتشابهة إلى حد كبير في المعنى، ويمكن تبادلها بصورة جزئية»[5].

4- "**قودمانGoodman**": يقول:« لا يوجد لفظان يمكن أن يحل أحدهما محل الآخر دون تغير الدلالة الحقيقية. و على هذا فلو ادعينا ترادف كلمتين فإنّ عدم إمكانية تبادلهما» (Interreplaceability): في بعض السياقات يمكن أن يقدم الدليل على أنّ الكلمتين لا تحملان نفس المعنى»[6].

5- "**ستورك Stork**": يقول: « كلّ الكلمات تملك تأثير عاطفيا، كما تملك تأثيرا إشاريا، و لهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة»[7].

---

[1])- علم الدلالة، ص 220.

[2])- نفسه، ص 224

[3])- Language، ص 145(عن علم الدلالة، ص 224).

[4])- Semantics، ص 110 (عن علم الدلالة، ص 225).

[5])- Semantic Fields، ص 23 (عن علم الدلالة، ص 225).

[6])- On Likeness، ص 73 (عن علم الدلالة، ص 225)

[7])- Learning about Liguistics، ص 118 (عن علم الدلالة، ص 225).

6- "محمد المبروك": أنكر الترادف و اعتبره آفة منيت بها العربية في عصور الانحطاط و طالب بالرجوع إلى ما تحمله من معاني دقيقة تصور المشاعر و الأحاسيس و تناسب الحياة العلمية التي نعيش فيها. و السبب الذي دفعه إلى ذلك ما يراه من أنّ المترادف.؟

7- الدكتور "تمام حسان": يرى أنّ الشرح للكلمات في المعجم ينبغي أن يتجنب قدر الطاقة الشرح بالمرادف فقط، لأنّ الترادف التام المشكوك في أمره، لما أصبح معروفا في دراسة أصول التعارف على وضع الرموز للمعاني من ضرورة استغلال للمعنى واحد للرمز الواحد، فالكلمتان اللتان تعتبران مترادفتين، لا يوجد بينهما في الواقع إلى منطقة مشتركة من المعنى، ثمّ يستغل كلّ منهما بإقليمه الخاص خارج منطقة التداخل، ثمّ يخلص إلى أنّ اختلاف ظلال المعنى بهذه الصورة، مطعن خطير في فكرة الترادف(1).

و يذكر في سياق آخر أن ظاهرة الترادف ليست إلاّ تراكبا للمعاني، و التقاء جزئيا لمعنى الكلمتين، ثمّ افترقا بينهم في عدا هذا الجزء من المعنى، وأنّ الدليل على ذلك ماثل فيما ألفه السلف من كتب في الفروق في اللغة، ككتاب "العسكري" الذي يحمل هذا الاسم(2).

2- المثبتون:

و هم الذين يسمحون بوجوده، و لكن مع تضييق شديد، أو مع شيء من التجوز، أو بشروط خاصة، و هم قلة قليلة(3).

1- "ستيفن أولمان"(ullmann) : الذي يقول:« و الترادف التام –على الرغم من عدم استحالته – نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فهو نوع من الكلمات التي لا تستطيع اللغة أن تجود بها في سهولة و يسر. فإذا ما وقع هذا الترادف التام، فالعادة أن يكون ذلك لفترة قصيرة محدودة، حيث أن الغموض الذي يعتري المدلول، والألوان و الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية أو الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه، و كذلك سرعان ما تظهر بالتدريج فرق معنوية دقيقة بين الألفاظ المترادفة، بحيث يصبح كلّ لفظ منها مناسبا وملائما بالتعبير عن جانب واحد فقط من الجوانب المختلفة للمدلول الواحد، كما أنّنا سنلاحظ في الوقت نفسه أنّه ما يرتبط بهذه الألفاظ من عناصر عاطفية و تعبيرية وإيحائية، خاصة سوف تأخذ في الظهور و النمو ممتدة في خطوط متباعدة»(4).

---

[1])- د: تمام حسان، اللغة العربية معناها و مبناها، عالم الكتب، ط 3، 1418/ 1998 ص. 329

[2] -(

[3])- علم الدلالة، ص 225.

[4])- ستيفن أولمان، ت د: كمال بشر, دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة، 1997, ص 109

2- الدكتور "**كمال محمد بشر**": يتلخص رأي د. "**كمال**" في ظاهرة الترادف في قوله: « من الجائز جدا أن تتفق كلمتان أو أكثر في المعنى و ربما لا ندرك الفرق بينهما، غير أنّ هذا الفرق قد نشعر به حين نحاول أن نستبدل الكلمات بعضها ببعض في الموافق المختلة، و من الجائز أيضا أن يصح التبادل في بعض هذه المواقف، و لكن نشك في جواز هذا التبادل في كلّ المواقف إن نظرنا إلى الموضوع نضرة وصفية[1]. وهو يوافق رأي "**ستيفن أولمان**" في هذه الظاهرة»[2].

3- -الدكتور "**رمضان عبد التواب**": و يتضح رأيه من خلال قوله: « ورغم ما يوجد بين لفظة مترادفة و أخرى، من فرق أحيانا، فإنّنا لا يصح أن ننكر الترادف، مع من أنكره جملة، فإنّ إحساس الناطقين باللغة، كان يعامل هذه الألفاظ معاملة المترادف، فنراهم يفسرون اللفظة منها بالأخرى»[3].

4- الدكتور "**أحمد مختار عمر**": و يرى أنّه إذا أريد بالترادف و التطابق التام الذي يسمح بالتبادل بين اللفظين في جميع السياقات، دون أنّ يوجد فرق بين اللفظين في جميع أشكال المعنى (الأساسي و الإضافي و الأسلوبي و النفسي والإيحائي)، و نظرنا إلى اللفظين في داخل اللغة الواحدة، وفي مستوى لغوي واحد، وخلال فترة زمنية واحدة، و بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة؛ فالترادف غير موجود على الإطلاق[4]. أمّا إذا أريد بالترادف التطابق في المعنى الأساسي دون سائر المعاني، أو اكتفينا بإمكانية التبادل بين اللفظين في بعض السياقات أو نظرنا إلى اللفظين في لغتين مختلفتين أو في أكثر من فترة زمنية واحدة، أو أكثر من بيئة لغوية واحدة؛ فالترادف موجود لا محالة، و إنّه يمكن التمثيل بكلمتي (وصل) و(جاء) اللتين تنتظمان مع كلمات مثل: (القطار- محمد-الخطاب)، و تستقلان في سياقات أخرى، فنحن نقول: (وصل من سفره) و لا نقول: (جاء من سفره)، نقول: (جاء الربيع) ولا نقول (وصل الربيع)[5].

و يذكر الدكتور د. "**أحمد مختار**" بعد هذا أنّ الترادف يمكن أن يتحقق بالنسبة للكلمات التي تبدو متقاربة جدا، و يعجز الشخص عن تحديد الفروق بينهما، مثل: (يثب) مع (يقفز)، و(يجري) مع (يعدو)، و (عال) مع (مرتفع)، كما يمكن أن يمثل له بالكلمات الأربعة: (عام – سنة – حول – حجة)، و كلّها وردت في القرآن الكريم بمعنى واحد، و تخبط اللغويون

---

[1])- ينظر هامش ترجمة كتاب: دور الكلمة في اللغة، ص 109.
[2])- نفسه، ص 126.
[3])- فصول في فقه العربية، ص 315.
[4])- علم الدلالة، ص 227، 228.
[5])- السابق، ص 230.

والمفسرون في التمـاس الفـروق بينهمـا، و كـذلك فـي بعـض الكلمـات ذات الطبيعـة المعتمة، التـي تخلـو أو تكـاد تخلـو مـن أي معـان إضــافية أو إيحـائية مثـل: (وراء وخلـف) و (قدام وأمـام) و(غرفـة وحجـرة) و(سـاحة وفنـاء). فمثـل هذه الكلمـات يسهل التبـادل بينهـا فـي الموقع الواحد دون حرج[1].

5- الدكتور **"صبحي الصالح"**: و يتلخص رأيـه فـي قولـه: « و لسنـا أن ننكر مـع **"أحمد بن فارس"** وقـوع الترادف، بل نؤثر أن نعتدل فـي رأينـا، فـلا ضير علينــا إذا أن نأخذ بمذهب من يقول: فـي شـأن الترادف: و ينبغـي نحمـل كـلام مـن منعـه علــى منعـه فـي لغـة واحدة، فأمّـا لغتين فلا ينكره عـاقل»[2].

و هؤلاء العلماء السابق ذكرهم أثبتـوا التـرادف أو سمحوا بوجوده، و لـكن مـع تضييق شديد أو مع شيء من التجاوز كما ذكرنا هذا سابقا.

و من المثبتين كذلك نجد من وضـعوا شـروطا خاصـة لتحقيـق التـرادف، و تـدقيق البحث فـي معاني الكلمات المترادفة، و منهم:

1. الأستاذ **"علي الجارم"**: لقد عالج القضية من وجهة نظر القدماء، و هو يقر بوجود الترادف لكن ليست بـالكثرة التـي زعمهـا بعض العرب، و فـي رأيـه أنّ المنكرين للتـرادف فـي العربية مبالغون كما أنّ المثبتين له أيضا مبالغون، فمبالغة المنكرين تظهـر فـي وجود مترادفات حقيقية، و لا داعي إلى إنكارها، أمّـا مبالغة المثبتين تكمن فـي الإتيــان بأمثلـة يمكن تخريـجها علـى وجه من الوجوه، كاختلاف المعاني الدقيق أو اختلاف اللهجات، أو يمكن إخراجها نهائيا من هذا الباب، لأنّها لا تمت إلى الترادف بصلة. و قد نصح **"علي الجـارم"** دارسي الترادف بأن يقوموا ببحث دقيق لمعاني الكلمات المظنون أنّها من الترادف، و قد طبق هذا المنـهج علـى عدد من الأمثلة كأسماء العسل التي وجدها لا تتجاوز الثلاثـة أو الأربعـة أمّـا الأسماء الأخـرى فكلهـا صفات[3].
2. الدكتور **"إبراهيم أنيس"**: بعد معالجتـه لظـاهرة الترادف، خلص **"إبراهيم أنـيس"** إلــى رأيـه الخـاص فــي التـرادف مـن جهـة، و فــي أراء القدماء مـن جهـة أخـري حيث قــال: «ومهما حاول بعض الاشتقاقيين من علماء اللغة كـ**"ابن دريد"** و**"ابن فارس"** وأمثالهما، أو

---

[1])- نفسه، ص 230، 231.
[2])- دراسات في فقه اللغة، ص 299 (عن جلال الدين السيوطي و أثره في الدراسات اللغوية، ص 531).

[3])- مجلة مجمع اللغة العربية "1935" (عن هامش ترجمة كتاب: دور الكلمة في اللغة، ص 119)

بعض الأدباء من أصحاب الخيال الخصب الذين يلتمسوا من ظلال المعاني فروقا بين مدلولات الألفاظ أقول مهما حاول هؤلاء أو هؤلاء إنكار وقوع الترادف في ألفاظ اللغة العربية فليس يغير هذا من الحقيقة الواقعة شيئا، فالترادف قد اعترف به معظم القدماء، وشهدت له النصوص، و إن كان بعض الذين قالوا به قد غالوا فيه»[1].

وقد رد على منكري الترادف الذين أخذوا يلتمسون الفروق بين الدلالات قائلا: « و لا نكاد نرى في كتاب هؤلاء العلماء شواهد، أو نصوصا قديمة نستدل منها على ما يمكن أن يكون بين الدلالات من فرق، و أغلب الظن أنّ ما التمسوه من تلك الفروق لم يكن إلاّ من وحي خيالهم أو لعلهم قد عز عليهم أن يرو تلك الكثرة من الألفاظ المترادفة في اللغة العربية، وحسبوها ممّا يشوه اللغة أو يوقع فيها اللبس والإبهام، فعمدوا إلى بعضها وفرقوا بين دلالاتها دون أن يكون لهم فيما صنعوه أي سند من نصوص اللغة واستعمالاتها»[2]، و يرى أنّ المنكرين للترادف قد نظروا إليه من الزاوية التاريخية، حيث أنّ هذه الكلمات في القديم كانت لها معاني مختلفة و من ثمّ لا ترادف في المعنى الحقيقي، أمّا المثبتون له فقد نظروا إليه من الناحية الوصفية الخاصة بفترة معينة: و في هذه الفترة المعنية (و لتكن الوقت الحاضر) قد تلاشت هذه الفروق في المعاني بين الكلمات وتناسيت، و على ذلك فالترادف موجود»[3].

كما أعتبر "إبراهيم أنيس" ظاهرة الترادف خاصية للغتنا العربية، و لا تكاد تشكرها في هذا لغة أخرى. و قد استدل على رأيه المثبت للترادف بعدد من الشواهد منها: الحديث النبوي الذي ذكرناه سابقا[4]. و منها كذلك ما روي أنّ رجلا من عرب الشمال ذهب إلى أحد ملوك اليمن و كان الملك فوق السطح فأطلع الرجل إليه. فقال: "ثب" "أي أقعد" فوثب الرجل من عل فتكسر فقال الملك: ما بصاحبكم ؟ فقالوا: إنّه لا يعرف الحميرية، فقال الملك: من ظفر حمر (أي من دخل ظفار فليتكلم اللغة الحميرية)، يقول الدكتور "إبراهيم أنيس": و لقد دخلت الكلمة من وقت هذه القصة وأصبحت ترادف (قعد)[5].

---

[1])- دلالة الألفاظ، ص 211.

[2])- نفسه، ص 217.

[3])- ينظر هامش ترجمة كتاب: دور الكلمة في اللغة، ص 122

[4])- ص 8.

[5])- ينظر هامش ترجمة كتاب: دور الكلمة في اللغة، ص 121.

و قد وضع "**إبراهيم أنيس**" لتحقيق الترادف الشروط: - إتحاد العصر – إتحاد البيئة اللغوية- الاتفاق في المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما (على الأقل في ذهن الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة) – اختلاف الصورة اللفظية للكلمتين، بحيث لا تكون إحداهما نتيجة تطور صوتي عن الأخرى. و من أمثلة الترادف التي حققت الشروط عنده: آثر وفضل. حظر و جاء – بعث و أرسل... و الاستعمال القرآني يشهد بذلك: فقد قال تعالى: (**تالله لقد آثرك الله علينا**)، و قال: (**و أني فضلتكم على العالمين**)، كما قال تعالى: (**حتى إذا حضر أحدكم الموت**) وقال: (**حتى إذا جاء أحدكم الموت**)، كما قال تعالى: (**بعث فيهم رسولا**)، و قال: (**فأرسلنا فيهم رسولا**) »[1].

- أسباب وقوع الترادف وكثرة المترادفات في العربية:

إنّ أهم أسباب وقوع الترادف في العربية حسب ما ذكره علماء العرب قدامى و محدثين يمكن أن نجملها في أمرين: التغير الصوتي و التغير الدلالي:

أ – التغير الصوتي:

إنّ تجاوز الأصوات في الكلام يؤدي إلى التأثير فيما حسب قوانين صوتية مدروسة ومعروفة، و قد يؤدي هذا التأثير إلى حدوث تغييرات صوتية في بنية الكلمة من حيث الصوامت (consonants) أو الصوائت (vowels)، فقد تتشابه الكلمات في مبناها مع اختلاف صامت أو صائت واحد، أي عملية استبدال صامت أو صائت بآخر و يسمى هذا (إبدال)، و قد تتطابق في مبناها و صوائتها مع اختلاف ترتيب الصوامت ويسمى هذا (قلب مكاني)[1].

وهذا التغير الصوتي يؤدي إلى تعدد الصورة اللفظية للكلمة الواحدة لكن دلالتها تظل واحدة رغم هذا الاختلاف في الصور اللفظية من دائرة الترادف لأنّ من شروط الترادف « ألاّ يكون أحد اللفظين نتيجة لتطور صوتي للفظ الآخر»[2]. و هذا من الشروط التي وضعها د"**إبراهيم أنيس**".

---

[1])- في اللهجات، ص 178 و ما بعدها (عن علم الدلالة، ص 226).

[2])- ينظر في علم الدلالة، ص 267

و مـن أمثلـة الإبـدال: لفظـا جـؤذُر (برفـع الـذال)، و جـؤذَر (بفـتح الـذال) فقـد عـدا مترادفين لدلالتها علـى الصغير من أولاد البقر، لكن الحقيقة لا وجود للترادف بينهمـا، وهمـا كلمة واحدة، و قد تولدت الصورة الأخرى منهما بطريق التغير الصوتي. وكـان ذلك بتـأثير المخـالفة أو المماثلـة الصوتيتين، لتسهيل النطق أو لإحداث الانسجام بين الأصوات[1]. وهذا مثال عن إبدال الصوائت. أمّا إبدال الصوامت، فقد يحدث فـي ضوء قـانون السهولة أو الاقتصاد في النطق نحو: ملث الظلام و ملس الظلام، فملس متولد من ملث الأصيل بإبدال الثاء سينا للتسهيل و الاقتصاد في النطق و لا ترادف بينهما[2]

[1])- السابق ص268.
[2])- نفسه ص 269.

المبحث الثاني:
المشترك اللفظي

المبحث الثاني: المشترك اللفظي.

أولا تعريف المشترك اللفظي :

الاشتراك اللفظي هو:« أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كلّ واحد منها على طريق الحقيقة لا المجاز, و ذلك كلفظ **"الخال"** الذي يطلق على أخ الأم, و على الشامة في الوجه, و على السحاب, و على البعير الضخم, و على الأكمة الصغيرة.»[1]

و قد حدد معناه **"السيوطي"** ناقلا عن **"ابن فارس"** في **"فقه اللغة"** فقال: « وقد عده أهل الأصول بأنّه اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند الأهل تلك اللغة.»[2]، و من هذا التعريف الأخير تبين لنا أنّ عمود المشترك اللفظي هو الدلالة, لأنّ اللفظ الواحد يدل على معنى أو اثنين أو أكثر, و من البديهي أنّ اللفظ في أول لفظه كان يدل على معنى واحد ثمّ توالد من هذا المعنى الواحد عدة معاني, و هذا التوالد هو ما نسميه:**"تطور المعنى"**, و هذا التطور يسير ببطء, و تدرج فتغير مدلول الكلمة, مثلا لا يتم بشكل فجائي وسريع, بل يستغرق وقتا طويلا, ويحدث عادة في صورة تدريجية فينتقل إلى معنى آخر قريب منه و هذا إلى ثالثٍ متصل به... و هكذا دواليك حتى تصل الكلمة أحيانا إلى معنى بعيد كل البعد عن معناها الأول[3]

إنّ المشترك اللفظي لا يتحقق إلاّ عندما تؤدي كلمة ما أكثر من معنى من غير النظر إلى:

أ- ما إذا كانت هناك علاقة بين معنيين أولا, فالأول مثل كلمة:" **بعصوصة**" التي تعني دويبة صغيرة لها بريق منة بياضها, و تطلق كذلك على الصبي الصغير لضعفه, و مثل كلمة **"البشرة"** التي تعني في الحقيقة جلد الإنسان, و تستعمل كذلك لعلاقة المشابهة بمعنى النبات و الثاني مثل كلمة **"الأرض"** التي ذكر **"كراع"** معانيها: قوائم الدابة, و الزكام, والرعدة, و قد روي عن **"ابن عباس"**τ قوله حين أصابت النّاس زلزلة (أزلزلت الأرض أم بالأرض)أي رعدة.[4]

---

[1])- علي عبد الواجد وافي، فقه اللغة, دار النهضة مصر للطبع والنشر, القاهرة , ط7, ص 189

[2])- السيوطي, المزهر في علوم اللغة, 387/1

[3])- عبد العال سالم مكرم، المشترك اللفظي في الحقل القرآني، مؤسسة الرسالة, ط1 (1417هـــ1996م) ص09

[4])- علم الدلالة, ص 158

ب- ما إذا كان المعنيان متضادين أولا, فالأول مثل قولهم " **البثر**" للغطاء الكثير و القليل, و فرع في الجبل إذا صعد وانحدر, و الجلل للكبير و الصغير و جون للأسود والأبيض[1]

ت- ما إذا كان المعنيان متوزعين بين لهجتين, أو مستعملتين في لهجة واحدة, فالأول مثل كلمة "**السرحان**" التي تعني الأسود في لهجة هذيل و الذئب عند عامة العرب, و"**السليط**" التي تعني عند أهل اليمن دهن السمسم و الزيت عند عامة العرب[2].

ث- ما إذا كانت الكلمة في أحد معنييها تنتمي إلى قسم معين من أقسام الكلام, و في المعنى الآخر إلى قسم آخر أو كانت تنتمي بمعنييها إلى قسم واحد, فالأول مثل كلمة "**أجم**" التي تستعمل فعلا مثل قولهم "**أجم الأمر**" و إذا اقترب, و تستعمل وصفا في قولهم " **كبش أجم**" إذا كان بغير قرون, و رجل أجم بدون رمح[3].

و روى "**السيوطي**" عن "**الخليل**" الأبيات التالية

يا ويح قلبي من دواعي الهوى ∃ إذا رحل الجيران عند الغروب

أتبعتُهم طرفي و قد أزمعــوا ∃ و دمع عيني كفيض الغــروب

كانوا و فيهم طفلـــة حـُـــرة ∃ تفتر عن مثل الأقاحي الغروب

و هذه الأبيات الثلاثة هي على قافية واحدة يستوي لفظها, و يختلف معناها. ثمّ قال: فالغروب الأول غروب الشمس, و الثاني جمع غرب و هو الدلو العظيمة المملوءة, والثالث جمع غرب و هي الوهاد المنخفضة[4]

من أهم ما يميز المشترك اللفظي اتصافه بسمة التوالد أو ما يسمى بتطور المعنى و هذا التطور كما هو معلوم مرتبط بعلاقتين يحكمانه و هما: علاقة المجاورة و المشابهة.

أمّا علاقة المجاورة فقد تكون مكانية كتحول معنى " **ظعينة**" و هي في الأصل المرأة في الهودج, إلى معنى الهودج نفسه. و إلى معنى البعير. و قد تكون علاقة المجاورة

---

[1])-السابق، ص 158

1)- نفسه, ص 159

[3])- نفسه، ص 159

[4])- المزهر.376/1.

ج- زمانية كتحول معنى العقيقة و هي في الأصل: الشعر الذي يخرج على الولد من بطن أمه إلى معنى الذبيحة التي تنحر عند حلق الشعر.

ح- وأمّا علاقة المشابهة: كتحول معنى**"الأفن"** و هو في الأصل قلة لبن ا لناقة إلى معنى قلة العقل والسفه.

و من التطور الدلالي و له علاقة بالمشترك اللفظي، أن تكون اللفظة تدل على معنى معنيين عام فيتقادم الزمن بتناسي المعنى العام، لتستعمل الكلمة في معنى خاص، فمن ذلك جميع المفردات التي كانت عامة المدلول، ثمّ شاع استعمالها في الإسلام في معان خاصة تتعلق بالعقائد أو الشعائر و النظم الدينية كالصلاة و الحج والصوم، و المؤمن و الكافر، والمنافق والركوع و السجود, فالصلاة مثلا معناها في الأصل الدعاء, ثمّ شاع استعمالها في الإسلام في العبادة المعروفة لاشتمالها على مظهر من مظاهر الدعاء حيى أصبحت لا تنصرف عند إطلاقها إلى غير هذا المعنى، و البأس في الأصل الحرب، ثمّ كثر استخدامه في كلّ شدة فاكتسب من هذا الاستخدام عموم معناه.

و الرائد في الأصل: طالب الكلأ، ثمّ صار طالب كلّ حاجة رائد، و هذا التطور أحس به علماء اللغة القدماء، قبل أن توجه إليه عناية اللغويين المحدثين[1]

فـ"**الأصمعي**" كان يقول أصل "**الورد**" إتيان الماء ثمّ صار إتيان كلّ شيء وردا.

و"**القرب**" طلب الماء، ثمّ صار يقال ذلك لكل طلب فيقال: هو يقرب كذا أي يطلبه، و لا تقرب كذا.

و يقولون "**رفع عقيرته**" أي صوته، و أصل ذلك أن رجلا عقرت قدمه فرفعها، و جعل يصيح بأعلى صوته، فقيل بعد لكلّ من رفع صوته، رفع عقيرته.

و يقولون: بينهما مسافة و أصله اسُوف، و مثل هذا كثير[2]

---

[1])- المشترك اللفظي في الحقل القرآني،ص 9 - 10 - 11
[2])- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، ص 11

ثانيا: اختلاف العلماء في وجود المشترك اللفظي

اختلف الباحثون في مبلغ ورود المشترك اللفظي في اللغة العربية، فذهب بعضهم إلى إنكاره و عمل على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب كأن يجعل إطلاق اللفظ في أحد معانيه حقيقة, و في المعاني الأخرى مجازا و على رأس هذا الفريق "**ابن درستويه**".

و ذهب فريق آخر إلى كثرة وروده و ضرب له عددا كبيرا من الأمثلة, و من هؤلاء "**الأصمعي**" و"**الخليل**" و"**سيبويه**" و"**أبو عبيدة**" و"**أبو زيد الأنصاري**" و"**ابن فارس**" و"**ابن مسعدة**" و"**الثعالبي**" و"**المبرد**" و"**السيوطي**"[(1)]

و في البداية نلخص رأي الذين أنكروا وقوع المشترك اللفظي ثمّ ننتقل لرأي الذين جوزوا وقوعه.

1- رأي "ابن درستويه"[(2)]:

يرى "**ابن درستويه**" أنّ المشترك اللفظي لا يقع في كلام العرب للأمور التالية:

أ- ليس من الحكمة و الصواب أن يقع المشترك اللفظي في كلام العرب لأنّه يلبس, وواضع اللغة و هو الله حكيم عليم, فقد وضع الله تعالى اللغة للإبانة على المعاني.

ب- لوجاز وضع لفظ واحد للدلالة على المعنيين المختلفين لما كان ذلك إبانة, بل تعميم وتغطية.

ج- الذين جوزوا وقوع المشترك اللفظي متوهمون مخطئون و المثل على ذلك مجيء فَعَلَ و افعل لمعنيين مختلفين في نظر المجوزين, فمن لا يعرف العلل و يتعمق في دراسة الكلمات يحكم هذا الحكم مع أنّهما في الحقيقة لمعنى واحد[(3)]، و إذا وقع في كلام العرب أنّهما لمعنيين مختلفين، فإنّما يرجع ذلك إلى لغتين متباينتين، أو لحذف و اختصار وقع في الكلام.

---

[1])- د/ علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة, ص189

[2])- بعض العلماء ضبطه بضم الدال و الراء و البعض الآخر بضم الدال و فتح الراء

[3])- المشترك اللفظي في الحقل القرآني، ص 12

د- يضرب مثلا على توهم المجوزين بلزوم الفعل و تعديته و ذلك إنّ الفعل لا يتعدى فاعله إذا احتيج إلى تعديته لم تجز تعديته على لفظه الذي هو عليه حتى يتغير إلى لفظ آخر، بأن يزاد في أوله همزة أو يوصل به حرف جر، ليستدل السامع عل اختلاف المعنيين[1].

و يروى "ابن درستويه" إنّ بعض هذا الباب ربما كثر لاستعماله في كلام العرب حتى يحاولون تخفيفه فيحذفون حرف الجر منه، فيعرف بطول المادة، و بكثرة الاستعمال، وثبوتا لقول و إعرابه فيه خاليا عن الجار المحذوف[2]

و في موطن آخر نرى "ابن درستويه" يسوق مثالا يدلل في ضوئه على أنّ المشترك اللفظي شيء ثابت في أذهان من لم يتعمق في اللغة و يعيشوا في محرابها بعقول متفتحة ونظرات نافذة، و ذلك لأنّ اللغة في رأيه لا تعترف بهذه الظاهرة، و أنّه إذا وجد اختلاف في المعنى فإنّما يرجع إلى تصاريف الكلمة، فهي المفتاح الوحيد لتفرقة بين المعاني يقول: « وأمّا قوله: أقسط الرجل: إذا عدل, فهو مقسط و قسط إذا جار فهو قاسط: قال الله Y: (و أمّا القاسطون فكانوا لجهنم حطبا)[الجن/15]، فهو كما قال: و لكن الأصل فيهما من القسط و هو العدل في الحكم, و التسوية بين الخصوم, و في النصباء, و لذلك سمي المكيال قسطا و النصيب قسطا و الميزان قسطاسا. و إذا استعمل ذلك في الظلم, قيل قسط بغير ألف و هو يقسط فهو قاسط على وزن ظلم يظلم فهو ظالم, أي لم يوف بالمكيال والميزان أو في النصيب و إذا استعمل في باب التسوية و الإنصاف قيل: أقسط بالألف فهو مقسط على وزن أنصف فهو منصف أي صار ذا نصفة و ذا تسوية بالقسط؛ لأنّهما بمعنى واحد[3].

فاختلاف المعنى في هذه الكلمة راجع إلى تصريف هذه الكلمة، أو بعبارة أدق إلى الألف الزائدة في أقسط, و عدم وجودها في قسط و مهما تغيرت المعاني فإنّها ترجع إلى معنى واحد. و يؤكد "ابن درستويه" هذا المعنى عند التعرض لكلمة "وجد" واختلاف معانيها ما نصه: «هذه اللفظة من أقوى حجج من يزعم أنّ من كلام العرب ما يتفق لفظه و يختلف معناه لأنّ "سيبويه" ذكره في أول كتابه و جعله من الأصول المتقدمة فظن من لم يتأمل المعاني ولم يتحقق الحقائق أنّ هذا لفظ واحدة جاء لمعان مختلفة و إنّما هذه المعاني كلّها شيء واحد و هو إصابة الشيء خيرا كان أو شرا، و لكن فرقوا بين المصادر لأنّ المفعولات كانت مختلفة فجعل الفرق في المصادر بأنّها أيضا مفعولة, و المصادر كثيرة التصاريف جدا و أمثلتها كثيرة مختلفة

---

[1])- نفسه, ص13،12

[2])- المزهر، 385/1

[3])- نفسه، 14/13

و قياسها غامض, و عللها خفية و المفتشون عنها قليل, و الصبر عليها معدوم فلذلك توهم أهل اللغة أنّها تأتي على غير قياس، و لأنّهم لم يضبطوا قياسها ولم يقفوا على غورها»[1]

و من المؤيدين لرأي "**ابن درستويه**" الأستاذ الدكتور "**إبراهيم أنيس**"

2 - رأي الدكتور "إبراهيم أنيس":

يرى الدكتور "**إبراهيم أنيس**" أنّ المشترك اللفظي موجود في اللغة و لكنه في حدود ضيقة ويثني على موقف "**ابن درستويه**" من هذه الظاهرة و يؤيده حيث يقول: في هذا الصدد « وقد كان "**ابن درستويه**" محقا حين أنكر معظم تلك الألفاظ التي عدت من المشترك اللفظي واعتبارها من المجاز»[2].

ذلك أنّ المشترك اللفظي لا يقع في لفظة تؤدي إلى معنيين مختلفين كلّ الاختلاف, ليس بينهما أدنى ملابسة أو أي علاقة أو أي نوع من أنواع الارتباط . فيقول ما نصه: « إذا ثبت لنا من النصوص أنّ اللفظ قد يعبر على معنيين متباينين كلّ التباين, سمينا هذا بالمشترك اللفظي، أمّا إذا اتضح أنّ أحد المعنيين هو الأصل و أنّ الآخر مجاز له فلا يصح أن يعد هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره»[3].

كأن يقال لنا مثلا: إنّ الأرض هي الكرة الأرضية و هي أيضا الزكام, و كأن يقال لنا إنّ الخال هو أخ الأم: و هو أيضا الشامة في الوجه و هو الأكمة الصغيرة[4]؛

كما يرى أنّ المشترك اللفظي لم يقع في القرآن الكريم إلاّ قليلا جدا و نادرا: فيقول: ويندر أن تصادفنا كلمة مثل "**أمة**" التي استعملت في القرآن الكريم بمعنى جماعة من النّاس وبمعنى الحين في قوله تعالى: (**وَ ادَّكَرَ بَعد َأمةٍ**)[يوسف/ 45]، و بمعنى الدين في قوله تعالى: (**إنّا وجدنا آباءنا على أمةٍ**) [الزخرف/ 23]

لم يرض الدكتور "**أحمد مختار عمر**" رأي الدكتور "**إبراهيم أنيس**" فوجه ردا يقول فيه: « وإذا كان لنا من تعليق على رأي الدكتور "**أنيس**" فإنّه يتلخص فيما يأتي:

---

[1])- المزهر, 384/1
[2])- د/ رجب عبد الجواد إبراهيم، دراسات في الدلالة و المعجم, دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع, القاهرة, سنة 2001, ص.45
[3])- إبراهيم أنيس دلالة الألفاظ , ص 213
[4])- دراسات في الدلالة و المعجم, ص 45.

أ- أنّه رغم تضييقه الشديد لمفهوم المشترك اللفظي في كتابه **"دلالة الألفاظ"** و قصره المشترك الحقيقي على كلمات لا تتجاوز أصابع اليد... تجده في كتابه **"في اللهجات العربية"** يصرح بأنّ المعاجم العربية قد امتلأت به.

ب- أنّه لم يستقر على وضع واحد بالنسبة لكلمات المشترك اللفظي التي نشأت عن تطور صوتي, فمرة اعتبرها من المشترك, و مرة عدمن الإسراف و المغالاة مجاراة المعاجم العربية في اعتبارها من المشترك, و ذكر أنّ الأقرب إلى الصواب أنّها من قبيل التطور الصوتي.

ج- جـ- أنّه مزج بين المنهجين الوصفي و التاريخي في علاج هذه الظواهر و كان الأولى أن يقتصر على أحدهما»[1].

ثالثا: عوامل نشوء المشترك اللفظي:

نشأ المشترك اللفظي بمعناه الصحيح في اللغة العربية من عوامل كثيرة أهمها العاملان الآتيان :

-1- اختلاف اللهجات العربية القديمة:

فبعض أمثلة المشترك جاءها من اختلاف القبائل العربية في استعمالها, ثمّ جاء جامعوا المعجمات فضموا هذه المعاني بعضها إلى بعض, بدون أن يعنوا في كثير من الأحيان والأحوال بإرجاع كلّ معنى إلى القبيلة التي كانت تستخدمه, و بعض أمثلته كانت تختلف معانيه. كذلك في الأصل باختلاف القبائل و لكن معانيه المختلفة قد انتقلت فيما بعد إلى لغة قريش, فأصبح يطلق على جميع هذه المعاني.

-2- التطور الصوتي:

فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتي, فيصبح هذا اللفظ متحدا مع لفظ آخر يختلف عنه في مدلوله[2].

رابعا: التفسير العلمي لظاهر:المشترك اللفظي

هناك عدة تفسيرات لحدوث مثل هذه الظاهرة: و منها:

---

[1])- إبراهيم أنيس في اللهجات العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت ط 2, 1988, ص 179

[2])- المشترك اللفظي في الحقل القرآني, ص 191,192

1- من الأسباب الرئيسية لحدوث المشترك اللفظي في اللغة وجود كلمة هي هي من حيث اللفظ عند أكثر من قبيلة, مع اختلاف في المعنى أو الاستعمال في كلّ من هذه القبائل, فإذا ما حدث وحدة بينهما اكتسب اللفظ أكثر من معنى من القبائل التي كانت تستعمله, ففي العربية الفعل "**شحط**" مثلا يكون بمعنى (ملأ) يقال: شحط الإناء, و يكون بمعنى أضاف ماء كثيرًا فيقال: شحط اللبن, كما يكون بمعنى اللسع و اللدغ فيقال: شحطته العقرب, و المعاجم العربية تذكر أنّ "**الهجرس**" تعني القرد عند الحجازيين, وتعني الثعلب عند التميميين و الذي لا شك فيه أنّ الكلمة كانت تطلق على أحد الحيوانين ثمّ جاء جامعوا اللغة و ذكروا لنا المعنيين لهذه الكلمة الواحدة.[1]

2- استعارة الكلمة لمعنى آخر غير معناه الأصلي يؤدي إلى نشأة المشترك اللفظي فاللفظة التي تستعمل لمعنى ثمّ تستعار لشيء فتكثر و تغلب تصير بمنزلة الأصل[2]

3- الطفرة الدلالية نتيجة سوء الفهم فتنشأ دلالة جديدة ثمّ تسود تلك الدلالة و ليس من الضروري حينئذ أن تندثر الدلالة الأصلية أو أن تنفى من الوجود, بل قد تبقى جنبا إلى جنب مع تلك الدلالة الجديدة و يخيل للنّاس أنّ للفظ دلالتين مستقلتين, و إنّه من الممكن استعماله في هذه أو في تلك, و هنا ينشأ ما يسمى بالمشترك اللفظي في صورته الأصلية الحقة، و كثيرا ما يساعده على حدوث الطفرة الدلالية أنّ اللفظ قد يكون قليل الشيوع أو يقتصر باستعماله على أساليب معينة, و لا يقع في تجارب كثيرة فتصاب دلالته بشيء من الغموض و يصبح أكثر تعرضا إلى الانحراف في الدلالة من الألفاظ الأخرى[3]. فالأصل في كلمة "**القاموس**" قاع البحر و قد وضعها "**الفيروز أبادي**" عنوانا لمعجمه: "القاموس المحيط" و هو يقصد به البحر الواسع العميق, على سبيل المجاز, ثمّ مع توالي الأيام وشيوع انتشار هذا المعجم اعتقد النّاس أنّ كلمة القاموس مرادفة لكلمة المعجم و بذلك تحقق الاشتراك اللفظي للكلمة و صارت تعني: قاع البحر و المعجم. و بذالك تحقق الاشتراك اللفظي للكلمة و صارت تعنى: قاع البحر و المعجم

4- قد يحدث الاشتراك بسبب وجود كلمة في صيغة الجمع أشبهت أخرى في صيغة المفرد مثل: (النوى: جمع نواة) و(النوى: البعد)، و هذا من الاشتراك الكاذب الذي قلما يوقع في احتمال التأويلين عند الاستعمال و إذا تكلف ذلك بعض من يريدون التورية و ما يشبهها من دقائق البديع, كذلك من الاشتراك الكاذب تشابه الاسم و الفعل في النطق مثل الفعل هوى أي سقط و الهوى و الذي هو ميل النفس والحب[4]

---

[1])- دراسات في الدلالة و المعجم, ص47

[2])- نفسه, ص 48.

[3])- دلالة الألفاظ، ص136

[4])- دراسات في الدلالة و المعجم, ص 49

5- تنوع استعمال اللفظ يؤدي إلى تنوع معناه لأنّ اتحاد صورته مع اتحاد استعماله ما كان لينتج إلاّ اتحاد معناه, و لكن الصورة وحدها تماثلت في المشترك بينما تغايرت طرائق استعمالها إمّا لتغاير البيئات اللغوية و إمّا لتفاوت المستعملين في مدى و لوعهم بالمجاز أو إيثارهم بالحقيقة[1]

6- تطور المعاني و تغيرها, فكما تتطور أصوات الكلمة و تتغير قد تتطور معانيها وتتغير مع احتفاظها بأصواتها, و تطور المعاني و تغيرها مع الاحتفاظ بالأصوات و هو الذي ينتج لنا كلمات اشتركت في الصورة و اختلفت في المعني, فكلمة العامل التي كانت تعني في العصر الجاهلي: كلّ من يعمل بيديه, صارت تعني في العصر الإسلامي الوالي و في العصر العباسي صارت تعني السبب أو الدافع, و بذلك تحقق للكلمة ما يعرف بالمشترك اللفظي, العامل من يعمل بيديه, الوالي, الدافع[2]

7- فسر بعض العلماء ظاهرة المشترك اللفظي بأنّها من باب تداخل اللغات, فقد ذهب "**أبو علي الفارسي**" إلى أنّ اتفاق اللفظين و اختلاف المعنيين ينبغي أن لا يكون قصدا في الوضع و لا أصلا. و لكنه من لغات تداخلت, فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين لما كان ذلك إبانة بل تعمية و تغطية, و لكن قد يجيء الشيء النادر من هذا لعلل, وإنّما يجيء ذلك في لغتين متباينتين، ففي العربية (السور حائط المدينة) و (السور الضيافة) و المعنى الأول عربي، أمّا الثاني فهو كلمة فارسية شرفها النبي ρ حين نطق به في قوله ρ (يا أهل الخندق، قوموا فقد صنع لكم "**جابر**" سورا)، و كلمة السيمياء التي تعنى الدلالة أو العلامة مادتها عربية:سوم و السيما، و السيماء، و السيمياء، و منها قوله تعالي: (**سيماهم في وجوههم**) [الفتح /29], و قد وافقت الكلمة المعربة السيمياء, المأخوذة من (sémantique)[3]

و قد ينشأ تعدد المعنى في الكلمة عن اختلاف الزمن الذي استعملت فيه أو اختلاف بيئة القائل أو طبقته أو مهنته, و لذلك كان من الضروري لتحديد معنى الكلمة معرفة العصر, أي تاريخ النص و البيئة التي ينتمي إليها فكلمة "**منطق**" في الجاهلية و صدر الإسلام تفيد معنى الحديث والكلام, و في العصر العباسي و خاصة لدى علماء الكلام و الفلسفة تفيد معنى القياس العقلي المقتبس من اليونان, و كلمة "**الزميل**" كان معناها: الرديف على البعير أو الذي

---

[1])- المرجع نفسه, ص50.49

[2])- نفسه، ص 50

[3])- دراسات في الدلالة و المعجم, ص 5150

8- يعمل مع صاحبه على البعير, ثمّ غدت تفيد في العصر الحاضر الرفيق في العمل أو المهنة وكأنّ المعنى الجديد يشمله لأنّه أعم[1].

9- التطور الصوتي أحد أسباب تحول المعنى, فهنالك كلمات كانت تستعمل في الأصل مختلفة الصورة و المعنى ثمّ تطورت صورة بعضٍ منها حتى ماثلت البعض الآخر و هكذا رويت لنا متحدة الصور ة مختلفة المعنى فقد روت المعاجم أنّ" **التغب**" لها معنيان غير ظاهري العلاقة و هما (الوسخ و الدرن) و (القحط والجوع) ثمّ في موضع آخر السغب معناها الجوع ويظهر أنّ كلمة السغب قد تطورت في لهجة من اللهجات و لظروف من الظروف الخاصة حتى أصبحت التغب من المشترك اللفظي و قد يستأنس لهذا الرأي بما روي عن بعض قبائل اليمن منها ميلها إلى قلب السين تاء فيقولون "**النات**" بدلا من النّاس [2].

10- التوسع المجازي و تنويع المعاني: انطلاقا من الدلالة الواحدة . فالأصل في (العين) مثلا أنّها تدل على عضو الإبصار الذي يرى به الإنسان و الحيوان, أمّا دلالتها على عين الماء فلأنّها تبدوا للوارد عليها من أعالي الصحراء قطعة لامعة من الماء يحف بها النبات فتكون أشبه بالعين و أهدابها, و العين بمعنى الدراهم و الدنانير و سميت كذلك من نقد هذه النقود و عدم جعلها دينا أو مؤجلة أي أنّها تبرز تحت عين الطرفين, و لذلك يقولون أعطاه الثمن عينا أي نقدا, و أعطاه إياه نسيئة أي دينا و العين من أعيان النّاس و هم وجهاؤهم لقيمتهم في المجتمع التي تشبه قيمة العين في الأعضاء و العين أي ثقب الإبرة لأنّ النور يدخل منه كما يدخل من العين المبصرة, لا غيرها[3].

خامسا:الجوانب الايجابية للمشترك اللفظي:

1- - إن و جود كلمة مستقلة لكلّ شيء من الأشياء التي قد نتناولها من شأنه أن يفرض حملا ثقيلا على الذاكرة الإنسانية، خاصة أنّ اللغة في استطاعتها أن تعبر عن الأفكار المتعددة بواسطة تلك الطريقة الحصيفة القادرة على تطويع الكلمات وتأهيلها للقيام بعدد من الوظائف المختلفة. و بفضل هذه الوسيلة تكتسب الكلمات نفسها نوعا من المرونة والطواعية، فتضل قابلة للاستعمالات الجديدة من غير أنّ تفقد معانيها القديمة[4].

---

[1])- نفسه، ص 51
[2])- نفسه, ص 52
[3])- دراسات في الدلالة و المعجم, ص 52
[4])- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة،ص 135

2- استغلال الغموض كخاصية من خواص الأسلوب، و هو أمر وجد في الآداب القديمة و مازال يوجد في الآداب الحديثة, و يدخل تحت هذا الاستغلال صور من الفنون الأدبية والبلاغية مثل: التلاعب بالألفاظ و الجناس و التورية[1].

3- استخدام اللفظ في معنى مجازي يجعله أكثر أدبية، إذ يصبح مليئا بالحيوية والإشراق, قادرا على التأثير في النفس فضلا عما يثيره ـ و بخاصة إذا كان مجازا جديدا ـ من دهشة واهتمام[2].

سادسا: الجوانب السلبية للمشترك اللفظي:

1- 1ـ إنّ أخطر الجوانب السلبية للمشترك اللفظي ما قد توجده من تشويش يعوق التفاهم أو يلقي ظلالا من بالغموض على معنى, و يترتب على ذلك صراع بين المعنيين أو المعاني يحمل نتائج لغوية هامة قد تتصل بوجود الكلمة ذاتها.

و قد ينتج عن صراع المعاني بين كلمات المشترك اللفظي هجر أحد المعنيين وتركه لتضادهما مع المعنى الآخر أو تحديد استعمال الكلمات فتخصص كلمة منه بمجموعة أو مهنة أو دائرة معينة فكلمة "جذر" يصبح لها معنى واحد عند الفلاح أو عالم النبات، و لها معنى ثان عند اللغوي، و معنى ثالث عند عالم الرياضيات، و لا تتصارع هذه الكلمات لتخصيص كلّ منها بمهنة معينة[3].

2- بقاء اللفظين يحملان معنيين أو أكثر مع الاعتماد في السياق أو القرينة الخارجية لتحديد المعنى المراد.

3 ـ تغير صيغة إحدى الكلمتين حتى تأخذ شكلا خاصا بها ويميزها عن الكلمة الأخرى.

4-عدم استعمال بعض الكلمات التي ينبغي أن تنطق بإبدال صوتي معين, و ذلك لأنّها لو استخدمت بعد إبدالها الصوتي لطابقت كلمة أخرى موجودة بالفعل في اللغة، ممّا يؤدي إلى نشوء المشترك اللفظي.

---

[1])- نفسه، ص 53
[2])- نفسه، ص 54
[3])- دراسات في الدلالة و المعجم، ص54

المبحث الثالث:
دور السياق في تحديد المعنى

المبحث الثالث: دور السياق في تحديد المعنى.

السياق: هو علاقة ا لكلمة مع قبلها و ما بعدها من كلمات الجملة، و هو الذي يعين قيمة الكلمة و يخلصها من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة و تتراكم عليها فيخلق لها قيمة حضورية و لهذا يصرح "فيرث" بأنّ المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال تسييق الوحدة اللغوية(1) .

و تعد "نظرية السياق" على النحو الذي عده "فيرث" من أفضل المناهج لدراسة المعنى، بسبب ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية و الاجتماعية, و الابتعاد عن الكثير من الأفكار البعيدة عن الواقع اللغوي و قد بين "ستيفن أولمان" دور هذه النظرية.

« إنّ نظرية السياق إذا طبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى و قد قادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن»(**2**).

غير أنّ هذا لا يعني أنّ كلّ اللغويين قد اعترفوا بهذه الحقيقة, بل على العكس من ذلك فقد وجد من بينهم من يرفض رفضا قاطعا الاحتكام إلى السياق في دراسة المعنى.

1- إنكار بعض اللغويين لدور السياق في إدراك المعنى:

نادى بعض اللغويين باستبعاد السياق من علم الدلالة, و لعلّ أهم ما دعاهم إلى ذلك ما أورده عنهم "بالمر" من أنّهم يرون إمكانية الوصول إلى معنى الجملة دون وجود أي سياق, وذلك باعتبار أنّ متكلمي اللغة عليهم معرفة معنى الجملة قبل استخدامها في أي سياق, و بناءا على ذلك فإنّ المعنى يظهر مستقلا عن السياق و يستطيع اللغويون دراسته دون الإشارة إليه وقد رد عليهم "بالمر" ردا حاسما قوض به أركان ما زعموا حيث قال مستفسرا:« بأي معنى يمكن أن نزعم أنّنا نعرف معنى جمة ما دون الاعتماد على السياق ثمّ حاول الإجابة بما يلائم زعمه بأنّه يمكننا أن نأتي بجملة أخرى لها معنى مشابه – و من هنا قد يكون حسنا أن نزعم معرفة تشابه جملتين في معنى هو نفسه معرفة إمكان استخدامها في سياقات متشابهة»(3)، و هو بهذا يشير إلى الوشائج القوية التي ترتبط بالسياق.

---

[1])- محمد الأنطاكي، الوجيز في فقه اللغة، مكتبة الشهباء، عبد السميع عفش للطباعة و النشر و التوزيع، د ت ط, ص 375.

[2])- دور الكلمة في اللغة, ص59

[3])- بالمر, علم الدلالة إطار جديد, ترجمة: صبري إبراهيم السيد, دار المعارف الجامعية، 1995, ص 70.

و قد تنبه "**عبد القاهر الجرجاني**" إلى دور السياق في الكشف عن الاختلافات الواردة بين الجمل المتشابهة في المعنى العام إذ يقول: « لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت الشعر, أو فصل من نثر فتؤديه بعينه, و على خاصيته و صنعته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة و لا وجه و لا أمر من الأمور, و لا يغرنك قول النّاس: قد أتى بالمعنى بعينه, و أخذ معنى كلامه فأداه على وجهه, فإنّه تسامح منهم, و المراد أنّه أدى الغرض، فإمّا أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلاّ ما عقلته هناك... ففي غاية الإحالة وظن يفضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة نحو أن تنظر إلى قوله تعالى: (**و لكم في القصاص حياة**) [البقرة/ 179]، و قول النّاس قتل البعض إحياء للجميع, فإنّه و إن كان قد جرت عادة النّاس بأن يقولوا في مثل هذا أنّهما عبارتان معبرهما واحد, فليس هذا القول قولا يمكن الأخذ بظاهرة أو يقع لعقل شك أن ليس المفهوم من أحد الكلاميين المفهوم من الآخر»[(1)]، و من هنا نلاحظ أن قضية الترادف لم تعد تخص المفردات وحدها إذ يمكننا الرد على منكري دور السياق بفعل مثل:" (أدرك) الذي انتزع من مكانه في النظم يصبح غامضا غير محدد المعنى: هل معناه (لحق به) أو (عاصره), أو أنّه يعني (رأى) أو (بلغ) إنّه التركيب الحقيقي المنطوق بالفعل هو الذي يمكنه وحده أن يجيب عن هذا السؤال, فنحن نقول: و مشى حتى أدركه (لحق به) و عاش حتى أدرك زمانه (عاصره), أدرك الغلام (بلغ)[(2)].

هذا و إن كان بعض المحدثين قد أدركوا أهمية السياق و خطورته في عملية تحديد المعنى اللغوي فهل من القدماء من أدرك هذه الحقيقة ؟

1 القدماء و السياق:

إنّ فكرة السياق و دلالتها على المعاني الحقيقية مطروحة في الفكر الإنساني منذ "**أفلاطون**" و"**أرسطو**" فقد تحدث في كتابه "**فيدروس**" عن مراعاة مقتضى الحال في الخطابة, و كذلك عرض "**أرسطو**" في كتابه "**فن الشعر**" لموضوع مقتضى الحال وأشار إلى أنّ الفكرة هي القدرة على إيجاد اللغة التي يقتضيها الموقف و يتلاءم و إياها[(3)].

---

[1])- عبد القاهر الجرجاني, دلائل الإعجاز، ت: محمد رشيد رضا, بيروت, لبنان, ط 21998, ص 177,176,

[2])- دور الكلمة في اللغة, ص58,57

[3])- د: حلمي خليل، الكلمة دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، ص 157.

و قد تفطن العرب القدماء إلى ما يتمتع به السياق من أهمية في إدراك المعنى و أشاروا إلى ذلك في ثنايا كتبهم و ذلك ممّا يدل على مدى اهتمامهم بالحقائق اللغوية و ما يصحبها من ملابسات مقاليه ومقاميه, و سنتطرق إلى تبيان أهمية السياق بشقيه المقامي و المقالي عند العرب القدماء في ثلاث بيئات و هي الأصوليين و البلاغيين و المفسرين:

أمّا الأصوليون فيبدو عندهم تمثل واضح لعناصر السياق اللفظية و الاجتماعية و آثارها في تحديد المعنى حيث يرون أنّ اللغة ظاهرة اجتماعية, فإذا كان للألفاظ معان عرفية, وإذا كانت الدلالة الحقيقية تابعة لقصد المتكلم و إرادته؛ فإنّه لابد للكشف عن المعنى من معرفة قصد المتكلم بالقرائن المختلفة, ذلك أنّ دلالات الألفاظ ليست لذواتها بل هي تابعة لقصد المتكلم وإرادته[1].

و لا يفتأ الأصوليون ينبهون في كثير من المواضع إلاّ أنّ الألفاظ المفردة, و التراكيب تتعرض بسبب السياقات اللفظية و المقامية المختلفة لألوان التغير الدلالي, و لذلك ينبهون إلى ضرورة الاستعانة بالسياقين اللفظي و الحالي أو ما تسميه "نظرية السياق" بالموقف الكلامي بجميع عناصره و دراسة الأصوليين للقرائن المخصصة للعام تدل على إدراكهم الواعي لعناصر السياق، أو الموقف الكلامي و أثرها في تحديد المعنى و هى قرائن حالية كالحسن والعقل، و قرائن لفظية تشمل السياق اللفظي بمعناه الواسع[2].

و هذا دليل على احتكام القدماء إلى ما يسمى بالسياق بشقيه اللغوي و غير اللغوي ودراسة الأصوليين للمعاني المتنوعة و المتعددة التي ترد بها صيغة الأمر تكتشف عن إدراكهم لأثر السياقيين اللفظي و الحالي بحسب السياقات المختلفة[3].

هذا و يعتبر "ابن القيم" عن أهمية السياق في دراسة المعنى: « السياق يرشد إلى تبيين المجمل و تعيين المحتمل, والقطع بعدم احتمال غير المراد و تخصيص العام و تقييد المطلق, وتنوع الدلالة, و هذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المكلم فمن أهله غلط في نظره, و غالط في مناظرته, فانظر إلى قوله تعالى: (ذق إنّك أنت العزيز الحكيم) [الدخان 49] كيف تجد سياقه يدل على أنّه الذليل الحقير»[4].

---

[1])- د: طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع، ص225

[2])- نفسه، ص227

[3])- أنظر: تحليل معاني صيغة الأمر في كتاب دراسة المعنى عند الأصوليين، ص 71،70

[4])- ابن القيم الجوزية، بدائع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، م 2-ج4-ص10/9

و وجدنا عن :**ابن القيم**" نماذج طيبة للتحليل اللغوي للنصوص على المستويات الصرفية والتركيبية و المعجمية موصولة بقرائن السياق و عناصر الموقف الكلامي المختلفة, ويستثمر بعد ذلك نتائج التحليل في الكشف عن المعنى بيد أنّه بالطبع, لم يفصل في تحليله بين كلّ مستوى و آخر. أمّا المفسرون فقد وضعوا شروطا في المفسر تتمثل في إتقانه لمجموعة من العلوم أشبه ما تكون, بمراحل التحليل المذكورة في نظرية السياق منها ما يتصل بالتحليل الصوتي كاشتراطه أن يكون عالما بالقرأءات لأنّ علم القراءات يعرف به كيفية النطق بالقرآن يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض[1]

و لعلّه قريب منه ما ذكره "**ابن جني**" من الدلالات الصوتية على المعنى أو ما اصطلح عليه بالتنغيم إذ يقول: « و ذلك أن تكون في مدح إنسان و الثناء عليه فتقول: كان والله رجلا. فتزيد قوة اللفظ بالله هذه الكلمة, و تتمكن في تمطيط اللام و إطالة الصوت بها وعليها, و أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك, و كذلك تقول:سألناه فوجدناه إنسانا. و تمكن الصوت و تفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك»[2].

و منها ما يتصل بالتحليل الصرفي كإتقان التصريف لأنّ تعريف الأبنية و الصيغ قال بعضهم:« ومن فاته علمه فاته المعظم»، و معرفة الاشتقاق ضروري:« لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف المعنى باختلافهما كالمسيح هو من السياحة والمسح»[3].

و منها ما يتصل بالتركيب كإتقان علوم النحو و المعاني و البيان و البديع أمّا النحو فلأنّ المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب، أمّا المعاني و البيان و البديع فلأنّه يعرف بالأول خواصه تراكيب الكلام من جهة إفادتها المعنى و بالثاني خواصها من حيث الاختلاف بحسب وضوح الدلالة و خفائها و بالثالث وجوه تحسين الكلام ومنها ما يتصل بالمعجم أو ما يسمونه بـ:علم اللغة و هو يعنى عندهم متن اللغة لأنّه في عرف شرح مفردات الألفاظ و مدلولاتها بحسب الوضع.

---

[1])- طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة و النشر و التوزيع، د ت ط، ص 220.

[2])- بن جني، الخصائص، ج 2/ ص 271

[3])- السيوطي، الإتقان، ج 213/04.

و منها ما يتصل بسياق الحال و هو معرفة أسباب النزول، و ممّا هو بسبب من السياق العام اشتراطهم استحضار النص القرآني، جميعه عند تفسير بعضه(1).

أمّا إذا انتقلنا إلى البلاغيين فإنّنا سنرى منهم عناية بسياق الحال و هو ما سموه المقام فمقام الفخر, غير مقام المدح و عبارتهم المشهورة " **لكل مقام مقال** " تدل على تمييزهم بين شقي السياق اللغوي و الاجتماعي, بيد أنّ البلاغيين لطبيعة دراستهم التي عنوا بها وذلك بيان أسرار التفاوت الجمالي بين الأساليب لم يفصلوا في شرح عناصر السياق اللفظي و الدلالي وبيان أثرها في إجلاء المعنى، و إن كانوا يعتمدون على السياق في صنوف ما يقدمونه من أنماط التحليل الأدبي كما أنّهم أدركوا أثر سياق الحال في إجلاء المعنى و توضيحه و كيف يتغير معنى العبارة الواحدة بتغير المقام و الموقف الكلامي. ففي قوله تعالى: **(و اسأل القرية)** [يوسف/82]، معنى العبارة في السياق القرآني يقتضي محذوفا و التقدير و اسأل أهل القرية ولك هذه العبارة في مقام آخر لا تحتمل الحذف, و ذلك إذا كانت في « كلام رجل مر بقرية قد خربت وباد أهلها فأراد أن يقول لصاحبه واعظا و مذكرًا أو لنفسه متعظا و معتبرا: سل القرية عن أهلها و قل لهم ما صنعوا»(2).

و الملاحظ هنا هو تركيزهم على السياق المقامي إلاّ أنّ هذا لا يعني إهمال اللغويين للسياق اللغوي كلية إذ كثيرا ما نجدهم يحتكمون إليه فقد جاء عن "**الأنبا** ري" قوله: «كلام العرب يصحح بعضه بعضا و يرتبط أوله بآخره و لا يغرف معتنى الخطاب منه إلاّ باستفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع للفظة على المعنيين لأنّها تتقدمها و يأتي تعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر, و لا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلاّ معنى واحد»(3).

و لا شك أنّ ما سقناه من أدلة على إدراك اللغويين العرب القدماء للسياق بشقيه اللغوي وغير اللغوي, يجعلنا نقف وقفة إكبار لما وصل إليه الفكر العربي آنذاك من تطور ورقي عملي جعل منه قاعدة إنبنت عليها الدراسات الغربية الحديثة إلاّ أنّ المبتدئ اندثر والمقتدي ذاع واشتهر.

---

[1])- دراسة المعنى عند الأصوليين، ص 222،221.

[2])- نفسه، ص 222،221.

[3])- محمد بن القاسم الأنباري، الأضداد، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1991، ص 2.

أنواع السياقات وارتباط الدلالات بها:

رأينا فيما سبق اهتمام اللغويين بالسياق, إذ تكلموا عنه بإسهاب, و تناولوه من جهات وجوانب متعددة ومن هذا المنظور أخذ السياق تفرعات متباينة, ثمّ صنفت هذه السياقات في رحاب النظرية السياقية إلى تصنيفات متنوعة سنعرضها بشيء من التفصيل فيما يلي:

السياق اللغوي: LINGUISTIC CONTEXTE.

هو مجموعة الوحدات التي تسبق أو تلي وحدة معينة, أو هو العلاقات الداخلية المتحكمة في البنية التركيبية للوحدات[1]. و معنى هذا أنّ السياق اللغوي يعنى بالكلمة و موقعها من النظم, و قد كان ولوع البلاغيين ـ كما رأينا ـ بنظرية النظم على النحو الذي بينه **"عبد القاهر الجرجاني"** شديدا, و هذه النظرية هي دراسة تبين في الغالب أثر السياق اللفظي أو النظم في **تحديد قيمة الكلمة أو دلالتها**[2].

و يمكن التمثيل للسياق اللغوي بكلمة (حسن) التي تقع في سياقات لغوية متنوعة وصفا لـ:

أشخاص: رجل, امرأة ولد.

أشياء مؤقتة: وقت يوم حفلة رحلة.

مقادير: ملح, دقيق, هواء, ماء.

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة (رجل) كانت تعني الناحية الخلقية, و إذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الداء (و ليس الناحية الأخلاقية) و إذا وردت مع في وصف المقادير كان معناها الصفاوة و النقاوة... و هكذا[3]

كما يمكن التمثيل له بكلمة (الغروب) التي يتغير معناها من سياق إلى سياق بحسب ما يتوارد من كلمات كما ذكرنا آنفا:

يا ويح قلبي كمن دواعي الهوى ∃ إذا رحل الجيران عند الغروب

---

[1])- الطيب دبة، مبادئ اللسانيات البنوية – دراسة تحليلية ابستيمولوجية، دار القصبة للنشر، 2001، ص 202.

[2])- دراسة المعنى عند الأصوليين، ص 224.

[3])- علم الدلالة، ص 69.

وأتبعهم طرفـي وقد أزمـــعوا ∃ ودمع عيني كفيض الغروب

كانوا وفيـــهم طفلة حـــــرة ∃ تفتر عن مثل أقاحي الغروب

وهناك كلمات من المشترك اللفظي لا يتضح معناها .إلاّ من خلال وضعها في سياق معين و من هذه الكلمات ما استخدمه القرآن الكريم و كان للسياق اللغوي دور كبير في تحديد معناها: من ذلك:

- **الضلال:** معناها العام: العدول عن الحق و الطريق[1] و وردت في القرآن الكريم بمعان مختلفة منها:

- ضل عن الطريق في قوله تعالى: (**ووجدك ضالا فهدى**) [الضحى/: 07].

بمعنى النسيان، و الناسي للشيء عادل عنه و عن ذكره ،قال تعالى: (**قال فعلتها إذاً وأنا من الضالين**) [الشعراء/]، أي الناسين و قال تعالى: (**أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى**) [البقرة 282]، أي إن نسيت واحدة ذكرت الأخرى. و بمعنى الهلكة والبطلان: و منه قوله تعالى: (**وقالوا أئذا ضللنا في الأرض**) [السجدة 10]، أي بطلنا ولحقنا بالتراب، و يقال أضل القوم ميتهم أي قبروه[2].

الـعهـد: وردت هي الأخرى بمعان مختلفة منها:

بمعنى الأمان في قوله تعالى: (**فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم**) [التوبة 4].

بمعنى اليمين في قوله تعالى: (**و أوفوا بعهد الله إذا عاهدتهم**) [النحل 91].

بمعنى الوصية في قوله تعالى: (**ألم أعهد إليكم يا بني آدم**) [يس 60].

بمعنى الميثاق في قوله تعالى لـ"**إبراهيم** υ": (**قال :إنّي جاعلك للنّاس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**) [لبقرة/124]، أي لا ينال وعدك من الإمامة الظالمين من ذريتك والوعد.

---

[1])- لسان العرب، مادة (ضلل).

[2])- أبو محمد ابن قتيبة الدينوري، تأويل مشكل القرآن، شرح سيد صقر، المكتبة العلمية ، ص 457.

و من هذا نلاحظ أنّ معاني الوحدات الدلالية لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها، و لعلّ أوضح مثال على أن بعض الكلمات لا يتضح معناها إلاّ من خلال ضميمتها التي ترد معها في التركيب كلمة (رغب) التي لا يمكن شرحها معجميا من دون ذكر ما يتوارد معها من حروف, و عليه فإنّ شرحه في المعجم يرد على النحو التالي « رغب فيه: أراده... و رغب عنه: لم يرده»[1]

و هي قول **"ابن عقيل"** في ذلك: « رغبت في زيد فلا يجوز حذف (في) لأنّه لا يدري حينئذ هل التقدير "رغبت عن زيد أو "رغبت في زيد "»[2]، و لذلك فإنّ حذف حرف الجر الذي يتوارد مع هذا الفعل في قوله تعالى: (**و يستفتونك في النّساء قل الله يفتيكم فيهن و ما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النّساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن**) [النساء : 127]، جعل المفسرين يختلفون في شرحه وتبيين معناه, و في هذا الصدد ذكر **"الطاهر ابن عاشور"** تحليلا دقيقا لمعنى حذف حرف الجر في الآية مفاده أنّ لحذفه بعد (ترغبون) – هنا – موقع عظيم من الإيجاز, و إكثار المعنى, أي ترغبون عن نكاح بعضهن في نكاح بعض الآخر, فإنّ فعل (رغب) يتعدى بحرف "عن " للشيء الذي لا يحب, و بحرف "في " للشيء المحبوب, فإذا حذف حرف الجر احتمل المعنيين إن لم يكن بينهما تناف[3].

كذلك نجد الشراح من بين الذين خاضوا غمار هذا النوع من الدراسة التي تبرز أثر مراعاتهم للسياق اللغوي في تعيينهم للمقصود من الألفاظ التي تحمل العديد من الدلالات كألفاظ المشترك والأضداد ففي هذا الحال يتكئ الشراح على معطيات السياق اللغوي في تحديد دلالات هذه الألفاظ منبهين على ذلك بقولهم:« وهو هاهنا» أي أنّ معنى اللفظ في هذا السياق هو كذا وكذا.

و يزيد في أهمية الموقف في تفسير القرآن الكريم و معرفة معانيه، و ما أوردته **"عائشة عبد الرحمن"** في تفسير لفظ (الضلال) في قوله تعالى: (**و وجدك ضالا فهدى**) [الضحى 7]، إذ ترى أنّ المعنى الذي يكاد يكون متبادرا إلى الذهن عند إطلاق هذا اللفظ هو (الكفر) غير أنّه يخرج إلى معنى الحيرة و الشغف ومن ذلك قوله تعالى: (**تالله إنّك لفي ضلالك القديم**) [يوسف /95]

---

[1])-
[2])- ابن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط 20، ج 2 ص 151.
[3])- محمد الطاهر بن عاشور, تفسير التحرير و التنوير، ج5، ص 213.

و من ثمَّ فقد أدركت "**عائشة عبد الرحمن**" معنى لفظ الضلال المقصود في سورة الضحى بما استقر لها عن حالة النبي قبل البعثة، حيث استنكر حالة القوم في هذه الفترة، إلاّ أنّه لم يجد مبررات ومسوغات للكثير من الظواهر، فبقي تائها وسط زخم من الأسئلة التي كانت تدور بخلده و لبث على حيرته أمدا حتى جاءته الرسالة فهدته إلى الدين القيم و أبانت له سواء السبيل بعد طول حيرة وضلال[1].

إنّ ما سبق يبين لنا خطورة هذا النوع من السياق في تحديد دلالة الألفاظ المتعددة المعاني (**المشترك اللفظي**) فإذا ما انتقلنا إلى الظاهرة الثانية و هي تعدد اللفظ بالنسبة لمعنى واحد(**الترادف**) فإنّنا نجد نفس الخطورة و ذلك لأنّ العديد من الألفاظ التي تعد من المترادفات تظهر فروقات بينها في المعنى حسب الموقف الذي تستعمل فيه، و من ثمَّ يتعذر أن يقوم أحد اللفظين مكان الآخر، و للتمثيل على ذلك نأخذ الكلمتين (زوج) و(امرأة) حيث يتبادر إلى الذهن إمكانية تبادلهما في السياق، إلاّ أنّ د."عائشة عبد الرحمان" ترى أنّ لفظ زوج يأتي في القرآن الكريم حين تكون الزوجية بما فيه من وحدة نفسية و سكن ومودة ورحمة مناط الموقف، و ذلك كقوله تعالى: (**و من آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة**) [الروم :21].فإذا تعكر صفو هذه الوحدة النفسية و السكن والمودة و الرحمة بخيانة أو تباين في العقيدة فإنّ هذا يستدعي لفظ امرأة لا زوج، و يشهد لذلك قوله تعالى: (**و قال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه**) [يوسف:30]، و قوله: (**امرأة نوح و امرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما**) [التحريم :10]، هذا من جهةو من جهة أخرى، فإنّ الحكمة من الزوجية هي اتصال الحياة بالتوالد، و في هذا السياق تكون كلمة زوج كقوله تعالى: (**يا أيها النّاس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء...**)[النساء/ :01].

فإذا تعطلت حكمة الزوجية بعقم أو ترمل، فإنّ المقام يكون لكلمة (امرأة)كقوله تعالى على لسان "**زكرياء**": (**و كانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك وليا**)[مريم/:05]

---

[1])- د/ عائشة عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف، مصر ط 5 ، 1977.

ثمّ لما استجاب له ربه وحققت الزوجية حكمتها كانت الآية: (**فاستجبنا له و وهبنا له يحي و أصلحنا له زوجه**)[الأنبياء:90][1].

السياق الثقافي:

تتمايز الحضارات بتمايز أنماطها الثقافية فلكلّ شعب ثقافة معينة، و خصائص لغوية ومعيشية يتعذر وجودها عند الجماعات البشرية الأخرى، و يصعب ترجمتها و نقلها من لغة إلى أخرى و لأنّها تمثل خصوصية من خصوصيات هذا المجتمع دن غيره، والسياق الثقافي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة. انطلاقا من ذلك فإنّ المفهوم الذهني للألفاظ يختلف باختلاف السياقات الثقافية وعليه يمكن اعتباره الإطار العام الذي بداخله يتم إحداث المواقف اللسانية المميزة والدالة من وجهة نظر اجتماعية[2]. و قد تنبه العرب القدامى إلى ارتباط الدلالة بمثل هذا السياق، و نذكر هنا "**الجاحظ**" بمقولته المشهورة «وكلام النّاس في طبقات المجتمع كما أنّ النّاس أهم في طبقات»[3]. و التي تنم عن مدى إدراكه للروابط التي تربط بين طبقات المجتمع، و اللغة التي تستخدمها كلّ طبقة، حيث نجد لكلّ طبقة اجتماعية قاموسا لغويا خاصا بها، فلغة المعلمين تختلف عن لغة الأطباء و هكذا إذ كلّ طائفة لها ألفاظها التي تحمل دلالات خاصة بهم دون غيرهم، إذ يمكن أن تكون نفس الكلمة إلاّ أنّ معانيها تختلف باختلاف الوسط الثقافي المتواجدة فيه.

يتضح ممّا سبق أنّ التفسير الدلالي للألفاظ، ينبني أساسا على حصر السياقات الثقافية التي يظهر فيها عادة هذا اللفظ, لأنّ معناه غير ثابت ويتغير بتغير المواقع الثقافية الوارد فيها.

وللتدليل على أهمية هذا السياق, يمكننا أن نمثل بكلمة (كافر) التي يتغير مدلولها من سياق ثقافي إلى آخر, ففي المحيط الثقافي للبيئة الزراعية تعني هذه الكلمة الفلاح الذي يستر البذور و يغطيها, و قد أومأ إلى ذلك "**أبو بكر الرازي**" بقوله: « و الكافر الزارع لأنّه يغطي البذر بالتراب»[4]. و الدليل على ذلك قوله تعالى: (**كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثمّ يهيج فتراه مصفرا ثمّ يكون حطاما**)[الحديد :20].

---

[1])- عائشة عبد الرحمان، من أسرار العربية في البيان القرآني، دار الأحد، بيروت، 1972، ص 45 و ما بعدها.
[2])- أحمد حساني، مباحث في اللسانيات, ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999. ص 154.
[3])- الجاحظ، البيان و التبيين، تحقيق :عبد السلام هارون، دار لجيل بيروت، ط 2، 2/ ص5.
[4])-أبو بكر الرازي مختار الصحاح، مادة (كفر)

أمّا المحيط الثقافي للفلكيين فهو:« الليل المظلم لأنّه ستر بظلمته كلّ شيء »[1] أمّا المحيط الثقافي الديني فتعني الجاحد لوحدانية الله و نعمه, نقل عن **"ابن السكيت"** قوله:« ومنه سمي الكافر لأنّه يستر نعم الله عليه.»[2]، و هذا المدلول نجده في قوله تعالى: (**إنّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله**)[البقرة 161].

و لعلّه قد اتضح ممّا قدمنا ه من أمثلة هنا أنّ السياق الثقافي الذي ترد فيه الكلمة هو الذي يحدد معناها, و هذا الارتباط الوثيق بين الوحدات اللغوية و سياقاتها الثقافية لدليل واضح على اختلاف الدلالات بين ألفاظ كان يعتقد أنّها مترادفات. من ذلك كلمة (عقيلته) التي تعد في العربية المعاصرة علامة على الطبقة الاجتماعية المتميزة بالنسبة لكلمة (زوجته) ومن ثمَّ فإنّ عدم استبدال إحداهما بالأخرى في نفس السياق الثقافي ينفي ترادفهما.

السياق العاطفي:contexte sentimental

يختلف هذا السياق عن السياقات الأخرى و يرتبط بدرجة قوة الانفعال المصاحبة للأداء الفعلي للكلام, من حيث ما يقتضيه الكلام من تأكيد ومبالغة أو اعتدال[3]

و نعني بالسياق العاطفي الكشف عما يختلج في النفس البشرية من مشاعر و أحاسيس من درجة الانفعال المصاحبة لما يقوله الإنسان و من هنا يظهر دور السياق الذي يقول فيه **"أولمان"**: « السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنّها تعبير موضوعي صرف, أو أنّها قصد بها أساسا التعبير عن العواطف و الانفعالات وإلى إثارة هذه العواطف و الانفعالات»[4].

و قد عبر العرب عن عواطفهم بأشعارهم العديدة التي صيغت بأغراض كثيرة ومتنوعة، كالغزل والهجاء، و المدح و الرثاء... و هذا راجع إلى الطبيعة الوسط الذي يعيش فيه الشاعر ونظرا للأحاسيس المفرطة لهذه الفئة من النّاس, يعبر فيها الشاعر عما يجيش في نفسه من عواطف. و من السبل التي كانت أمام الشاعر للترويح عن نفسه ليتم فهم ما يريده من طرف النّاس. كان السياق العاطفي؛ فهو أقرب إلى النفس ليترجم ما فيها من عواطف و أحاسيس

---

[1])- المصدر نفسه
[2])- المصدر نفسه
[3])-أحمد مختار عمرعلم الدلالة، ص70
[4])- دور الكلمة في اللغة, ص 60

وانفعالات، إلى خطاب تسمعه الآذان, و تنصت له القلوب. و لأداء المعنى المراد و من بين هؤلاء الشعراء نجد "**امرؤ القيس**" الذي يقول:

وليل كموج البحر أرخى سدوله ∃ علي بأنواع الهموم ليبتلي

فقلت له لما تمطـــى بصلبـــه ∃ وأردف أعجازا وناء بكلكل

ألا أيها الليل الطــويـل ألا انجل ∃ بصبح وما الإصباح منك بأمثل

و بذلك أمست الكلمة الدالة على الانفعالات المختلفة متفاوتة من حيث درجة الانفعال وفق السياقات العاطفية التي تتوافر فيها عادة[1].

و يظهر التفاوت الدلالي بين كلمتين (الغضب) و(السخط) على الرغم من انتمائها إلى نفس المجال الدلالي, لأنّ كلاهما يصور الجانب السيئ في العاطفة, على أنّ الاختلاف بينهما يكمن في درجة الانفعال التي يعبر عنها السياق العاطفي لكلّ من (السخط)(الغضب) فيقول "**أبو هلال العسكري**" (تـ395هـ): «إنّ الغضب من الصغير على الكبير, و من الكبير على الصغير و السخط لا يكون إلاّ من الكبير على الصغير, يقال: سخط الأمير على الحاجب ولا يقال: سخط الحاجب على الأمير»[2]، و يردف أيضا – "**أبو هلال العسكري**" قائلا في الفرق بين (الغضب) و(الغيظ) « إنّ الإنسان يجوز أن يغتاظ من نفسه و لا يجوز أن يغضب عليها, و ذلك أنّ الغضب إرادة الضرر للمغضوب عليه، و لا يجوز أن يريد الإنسان الضرر لنفسه, و الغيظ يقرب من باب الغم»[3].

كما نجد أنّ كلمة (love) الانجليزية غير كلمة (like) رغم اشتراكهما في أصل المعنى و هو الحب, و كلمة (يكره) العربية غير كلمة (يبغض) رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك[4].

و نجد في السياسة ألفاظا معينة غالبا ما نختارها على الأرجح لمجرد تأثيرها فكلمة (فاشستي) تشير إلى عضو في الأحزاب الفاشستية, و هي تستخدم في إدانة الخصوم و إهانتهم و قد تكون للكلمات معان عاطفية متعددة في مجتمعات مختلفة فكلمة (ليبيرالي) بوحه عام كلمة

---

[1])- مباحث في اللسانيات, ص157

[2])- الفروق في اللغة, ص 123

[3])- الفروق في اللغة, ص123

[4])- علم الدلالة, ص71

حسنة في بريطانيا، و قد استخدمها "**تشرشل**" نفسه عندما كان من الناحية السياسية في حزب المحافظين, غير أنّها كلمة وضيعة بجنوب أفريقيا و في بعض الدوائر السياسية في الو.م.أ[(1)].

لذلك نجد أنّ اللغة تحظر استعمال بعض الكلمات لما لها من إيحاءات مكروهة أو لدلالتها الصريحة لما يستقبح ذكره[(2)]. و إذ قد تقرر أنّ للكلمات معاني إيحائية عاطفية, فإنّ وقوع الاختيار على كلمة دون أخرى تشترك معها في المعنى الأصلي وتخالفها في دلالتها العاطفية، يومئ إلى وجود فروق دقيقة بينها تمثلها تلك المعنوية العاطفية التي تكتنف المعنى الأصلي المشترك بينهما، و من هنا يكون الحكم على مثل هذا النوع من الكلمات بعدم ترادفها حكما موضوعيا و علميا إلى أبعد الحدود.

يقول"**ستوورك**" (stork) فيما نقله عنه د/"**أحمد مختار**":

كلّ الكلمات تملك تأثيرا عاطفيا كما تملك تأثيرا إشاريا, و بهذا فمن المستحيل أن تجد مترادفات كاملة[(3)].

و يقول" **ستيفن أولمان**": « والترادف التام... نادر الوقوع إلى درجة كبيرة... فإذا ما وقع هذا الترادف التام, فالعادة أن يكو ن ذلك لفترة قصيرة محدودة بحيث أنّ الغموض الذي يعتري المدلول أو الظلال المعنوية ذات الصبغة العاطفية و الانفعالية التي تحيط بهذا المدلول, لا تلبث أن تعمل على تحطيمه وتقويض أركانه»[(4)]

و الذي يعنينا من هذا الكلام هو اعترافه الصريح بعدم ترادف الكلمات التي تختلف في ظلالها المعنوية العاطفية على الرغم من اشتراكها في المدلول العام.

وهذا النوع من السياق يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلاقة الاجتماعية بين الأفراد وفي التعاملات اليومية بين الفرد وبين من لا يحيطون به من أفراد مجتمعة إذ تبرز لنا من خلاله شخصية كلّ من المتكلم و المستمع فالمتكلم قد يكون مهذبا أو غير ذلك و يتبين لنا هذا بالاعتماد على ما يصدر عنه أثناء الكلام فقد يلتمس العبور بقوله (اسمح لي بالمرور) يمكنني العبور, ابتعد... وكلها عبارات تؤدي نفس المعنى العام. إلاّ أنّها تختلف في مدى انعكاس الانفعال مع كلّ

---

[1])- بالمر، علم الدلالة إطار جديد، ت: د صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية 1995, ص 60.59

[2])- علم الدلالة, ص 239

[3])- المرجع نفسهص225

[4])- دور الكلمة في اللغة, ص97

واحدة منها، و قد يعتمد الاختيار هنا على ما إذا كان المتكلم فظا أو مهذبا، و هذا قد يرتبط بحالة الشخص المخاطب أيضا[1].

---

[1])- علم الدلالة إطار جديد, ص60

الفصل الثاني:
منهج "الراغب" في التحليل

الفصل الثاني: منهج "الراغب" في التحليل الدلالي.

المبحث الأول المفضل بن محمد الأصفهاني الراغب :

صاحب المصنفات كان في أوائل المائة الخامسة. له : مفردات القرآن وأفانين البلاغة والمحاضرات وقفت على الثلاثة وقد كان في ظني أن الراغب معتزلي حتى رأيت بخط الشيخ بدر الدين الزركشي على ظهر نسخة من القواعد الصغرى لبن عبد السلام ما نصه :«ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تأسيس التقديس في الأصول أن أبا القاسم الراغب من أئمة السنة » وقرنه بالغزالي , قال :وهي فائدة حسنة ,فإن كثيرا من الناس يظنون أنه معتزلي» .[1]

نشأته:

عرف الراغب الأصفهاني أكثر ماعرف بلقبه فكان ذلك باعثا على كثرة الاختلافات حول نسبه واسمه ومولده[2].

والظاهر أن مراحل حيا الراغب يكتنفها غموض كبيرو مرد ذلك في نظرنا إلى أنه لم يتحدث عن نفسه , على نحو مايحصل في السير الذاتية كما نجد عند غيره,مثل أبي حيا ن التوحيدي [3]

لقد كان الراغب الأصفهاني قليل التحديث عن نفسه فهو لم يذكر لنا شيئا عن مسقط رأسه –أصفهان أو أصبهان – التي كان يحمل اسمها وسواء حققت الكتب في هذه المسبة ام لم تتحقق [4]

نجد المراوحة بين الاستخدامين , ثم إننا لم نجد لديه حديثا عن بغداد , وهي المدينة التي يكون قد عاش فيها , ومن ثمة فلا بد أنه كان يشارك في ندواتها وحلاقتها العلمية على أن هناك احتمالا أكثر ترجيحا وهو أن ما يصيبه بعض الأعلام من الشهرة يحصل لهم من جهة تقلدهم مناصب الشهرة فيشتهرون بمراكزهم ومن ثم تتناقل آراؤهم الكتب والألسنة أما غيرهم ممن لم يتبؤوا المكانة عند ذوي السلطان فهم مغمورون بل ربما أخفى ذكرهم عن عمد« وكم من

---

[1] بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المجلد الثاني /ص297 المكتبة العصرية بيروت لبنان

[2] أنظر البيهقي ظهر الدين , تاريخ حكماء الإسلام , نشر وتحقيق محمد كرد علي . مطبوعات المجمع العلمي , دمشق . د,ت" دائرة المعارف الإسلامية مادة(الراغب) قاموس الأعلام , نشر مكتبة النهضة المصرية ط,1,1966.

[3] سيرتهما فيها تتشابه خاصة في النحو والبلاغة .

[4] لأنها مفقودة وأشير إليها في كثير من المصادر

عظيم لم يتول القضاء ولا عملا للدولة بقي على خمول لايكاد يشعر به ولا يعرفه غير بعض أبناء حيه ومنهم على ما يظهر الراغب الأصفهاني» [1]

لقد عرف الراغب الأصفهاني أبي القاسم الحسين محمد بالمفضل المشهور بـ:"الراغب الأصفهاني"أنه كان صاحب حديث ولغة وشعر وأخلاق وحكمة . وهو العارف بل الراسخ القدم في علو القرآن . وإلى جانب ذلك يبدو أنه كان مقبولا عند العامة والخاصة أما إذا جئنا لوفاته فسرعان ما نلحظ اختلاف المصادر فيها . ولا شك أن في مثل هذا الاختلاف عقبة يصطدم بها الباحث بعدما لمستاه من تنكر كثير من كتب التراجم لسيرة الرجل وبعد إحجامه عن التحدث عن نفسه .[2]. ويمكن لنا إذن أن نخلص إلى رأيين قويين سادا عند عموم الباحثين في حياة الراغب.

الرأي الأول:

القائل أن الراغب الأصفهاني عاش عصر الصاحب بن عباد المتوفى عام (385هـ) أي أنه من رجال القرن الرابع الهجري : وهذا الرأي على قلة القائلين به إلا أنه يوجد في وقتنا من يدعمه ويرجحه لأسباب منهجية [3]

أما الرأي الثاني:

وهو الذي عليه أكثر المترجمين له إذ يجعلون وفاته, ربما تأتي في أوائل المائة الخامسة للهجرة أي أنه عاش حتى أدرك من القرن السادس الهجري بضع سنين (تـ:502هـ) [4].
إن الملاحظ لهذين التاريخين يرى أن المسافة الزمنية متباعدة تماما بين التاريخين.

آثار وينابيع ثقافته:

إن مراجع السير الذاتية والتراجم تكاد تندر بل تشح علينا حول حياة الراغب ثم إنها إنها في أحايين كثيرة تضطرب فكان لزاما علينا من الناحية المنهجية أن نرى ينابيع الثقافة التي استقى منها هذا العلم الشامخ في تراثنا العربي الإسلامي علمه الغزير.

---

[1] محمد كرد علي كنوز الأجداد المجمع العلمي دمشق 1950,ص268نقلا عن الفكر المعرفي عند الراغب الأصفهاني ,د أحمد د[1] كار دار الغرب للنشر والتوزيع ,ص18.

[2] السارسي عمر عبد الرحمان – المجلة العربية للعلوم الإنسانية – تصدر عن جامعة الكويت – العدد20- المجلد الخامس -1985- ص23- عن الفكر المعرفي عند الراغب ص21

[3] السارسي عبد الرحمان المرجع نفسه ص25

[4] الراغب الأصفهاني – الاعتقادات – تحقيق – شمران العجلي – مؤسسة الأشرف بيروت لبنان .-ط1-1985-ص06

إن الذي وصلنا من مؤلفات الراغب على قلتها قد يكون كافيا لتكوين فكرة عن هذا العلم النحر ير كما أن الكثير من الذين كتبوا عنه قديما عل اختلاف مذاهبهم , امتدحوا علمه وثراء تنوعه ولا غرابة في ذلك لأن الراغب قد عاش في قرن ازدهرت فيه الحضارة العربية الإسلامية فلا غرو أن نجد كتابا كالمفردات, فيه ما شاء الله من العلوم كالنحو والصرف والمنطق والبلاغة , والفقه , والحديث النبوي الشريف والتصوف.وإلمامه الغزير بالتفسير ... هذه الثقافة الواسعة هي التي جعلته يضع كتبا حق لها أن تتبوء مكانة بين أقرانها في التفسير والعقيدة والفلسفة ولعلنا الآن نتساءل عن مؤلفاته وما وصل إلينا منها ؟

مؤلفاته:

1- كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة:

وهو من لأهم الكتب التي ألفها الراغب . والمتأمل لعنوان هذا الكتاب يدرك مباشرة العلة الخفية التي ألف من أجلها الكتاب فهو يميز بين الشريعة ومكارمها , فإذا كانت مقاصد الشريعة تحتاج إلى مكارم لتصونها وهي الأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها فإن مكارم الشريعة هي الأخلاق والقيم التي تحميها. وذلك بالسعي إلى الوصول إلى غاياتها من كمال موجود في شريعة الله والحقيقة أن هذه الخاصية قد دعا إليها معظم علماء الإسلام [1]يقول الراغب:« وقد استخرت الله الآن وعملت في ذلك كتابا ليكون ذريعة إلى مكارم الشريعة , وبينت كيف يصل الإنسان إلى منزلة العبودية التي جعلها الله تعالى شرفا للأتقياء , وكيف يترقى عنها إذا وصلها إلى منزلة الخلافة التي جعلها الله تعالى شرفا للصديقين والشهداء فالجمع بين أحكام الشرع ومكارمه علما . وإبرازهما عملا يكتسب العلا ويتم التقوى ويبلغ إلى جنة المأوى »[2].

إن الكتاب يتضمن نظرية كاملة في الأخلاق , ربما تأثر فيها الراغب ببعض الأفكار السائدة في عصره أو قبله إلا أنه كان حريصا على معالجتها بتصور إسلامي وبمنهجيته الخاصة .[3].

2- كتاب الاعتقادات: [4]

وهو كتاب ينكون من ثمانية فصول :

---

[1] أنظر – الموافقات للشاطبي الذي علل فيه الحكام من الناحية الفقهية والناحية الأخلاقية .

[2] الراغب الأصفهاني الذريعة إلى مكالرم الشريعة – تحقيق أبي اليزيد العجمي – دار الوفاء – ط1-1983ص59.

[3] أحمد دكار , الفكر المعرفي عند الراغب .

[4] كتاب الاعتقادات طبع عدة طبعات تحقيقا وتقديما أما من ناحية دراسته فتكاد تندر إلا قليلا كدراسة الطالب محمد اختر لقمان لنيل شهادة ماجستير (تحقيق ودراسة) كلية الشريعة مكة المكرمة.

-أصول الأديان

الفصل الثاني في معرفة الله وتوحيده وصفقاته ورؤيته وما يتعلق به .

الفصل الثالث : النبوة وماهية المعجزة

الفصل الرابع : ذكر فيه الغيبيات المتعلقة بالجن والملائكة وأحوالهم

الفصل الخامس : خصصه لكتاب الله عز وجل وتحقيق الكلام وما يتعلق به .

الفصل السادس ذكر فيه اليوم الآخر وما يتعلق به

افصل السابع : تحدث فيه عن القدَر وصعوبة الوقوف على سره.

الفصل الثامن : خصصه للحديث عن الوعد والوعيد والإيمان والإسلام.[1]

3- **كتاب تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين**:

هو كتاب يغلب عليه المنحي الفلسفي والمادة العامة للكتاب هي تفصيل النشأتين –أي النشأة الدنيوية والنشأة الأخروية – تفصيلا قرآنيا وقد تناول صاحبه المادة في ثلاثة وثلاثين بابا[2] وأبواب الكتاب كثيرة لايتسع المقام لذكرها إلا أن الغالب في الكتاب هو خلق الإنسان وماهيته إضافة إلى أجناس الموجودات حوله وموضع الإنسان منها[3]

4-كتاب محاضرات الأدباء ومحاورات البلغاء والشعراء :

وهو كتاب لم تتحصل على معلومات كثيرة عليه , غلا ماجاء في الدراسة التي قام بها صاحب كتاب "الفكر المعرفي عند الراغب"[4]

- كتاب مقدمة في التفسير:

وهو كتاب يحتوي على ثلاثة وعشرين فصلا.وقد كان غرض الراغب جليا حيث اعتمد فيه على الصحابة والسلف في تأويله لأسرار القرآن [5]

-كتاب مفردات ألفاظ القرآن الكريم: طبع هذا المؤلَف عدة مرات, وهو كتاب مهم في حقل الدراسات القرآنية ,إذلا يكاد الباحث أن يستغني عليه خاصة في التفسير والجانب اللغوي

[1] الراغب الأصفهاني – الاعتقادات – تحقيق شمران العجلي – مؤسسة الأشرف بيروت لبنان – ط1-1985-

[2] الراغب الأصفهاني – تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت لبنان –ص5

[3] للتفصيل في هذا الموضوع انظر أحمد دكار – الفكر المعرفي عند الراغب ص55, 54,53,52,51,50,49,48,47.

[4] -أنظر أحمد دكار 74,72

[5] المرجع نفسه,ص.56. وما بعدها.

.وقد اعتمد البيضاوي المفسر على هذا الكتاب في تفسيره للقرآن الكريم.[1]
ولابد أن نقف وقفة المتأمل لعنوان الكتاب فالرويات تختلف في عنوانه واستعمالات المحدثين للعنوان أيضا تختلف.فهم يعنونونه بـ"المفردات في غريب القرآن "[2] فمن العنوان يظهر لنا أنه ألف الكتاب لفهم الكلمات الغريبة والمشكلة التي لايألفها الناس ,وبشيء من التأمل اليسير ينقض هذا الرأي لأن الكتاب يحتوي على مداخل كثيرة يفهمها حتى العامة من الناس , فضلا عن الخاصة ونحن إذ نتبنى هذا الرأي نعتمد على ما قاله السيوطي في بغية الوعاة فهو يصرح في ترجمته أن الراغب«. له : مفردات القرآن وأفانين البلاغة »[3]

أهم المصادر التي اعتمد عليها الراغب في كتاب المفردات :

1-كتاب الشامل في اللغة :

هذا الكتاب يذكره الراغب صراحة ومثال عن توظيفه نأخذ مادة (بقل)فالراغب يقول :« دلوت الدلو: إذا أرسلتها، وأدليتها أي: أخرجتها، وقيل: يكون بمعنى أرسلتها قاله أبو منصور في الشامل[4] قال تعالى: {فأدلى دلوه} [يوسف/19]، واستعير للتوصل إلى الشيء، قال الشاعر:

وليس الرزق عن طلب حثيث ولكن ألق دلوك في الدلاء »[5]

2كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت(801-857هـ)

وهو كتاب يذكره الراغب صراحة في مادة (بقل) حيث نجده يقول :« وكذا بقل ناب البعير، قاله ابن السكيت (وعبارته: قد بقل وجهه يبقل بقولا: إذا خرج شعر وجهه، وقد بقل ناب البعير بقولا: إذا طلع»[6]

3-كتاب المسائل الحلبيات لأبي علي الفارسي[7]:

ويذكره الراغب بلقب أبي علي الفسوي ومثال ذلك لفظة (آمين) أو(حاشى) فنجد الراغب يقول :« قال الله تعالى: {وقلن حاش لله} [يوسف/31] أي: بعدا منه. قال أبو عبيدة: هي تنزيه واستثناء ، وقال أبو علي الفسوي رحمه الله :حاش ليس باسم، لأن حرف الجر لا يدخل على

---

[1] رابح دوب- البلاغة عند المفسرين حتى نهاية القرن الرابع الهجري – دار الفجر للنشر والتوزيع – القاهرة –ط01-1997-ص15.
[2] أنظر مثلا الفكر المعرفي عند الراغب,ص25
[3] بغية الوعاة السيوطي , 297/2
[4] (أبو منصور الجبان الرازي، واسمه محمد بن علي، كنيته أشهر من اسمه، شيخ وقته في اللغة، وكتابه (الشامل) في اللغة كثر فيه الألفاظ اللغوية، وقابل الشواهد، وهو كتاب كبير في ثلاثة عشر مجلدا، رتبه على الحروف، كان يجالس علاء الدين ابن بويه، وكان الصاحب كافي الكفاة يعزه ويجله وتعاصر مع ابن سينا واجتمعا في مجلس العلاء. انظر: إنباه الرواة 176/4؛ ومعجم الأدباء 260/18؛ وبغية الوعاة 185/1)،
[5] المفردات , ص178,
[6] المفردات , ص, 67
[7] هو أبو علي الفارسي الحسن بن أحمد المتوفي 377 هـ.

مثله، وليس بحرف لأن الحرف لا يحذف منه ما لم يكن مضعفا، تقول: حاش وحاشى، فمنهم من جعل حاش أصلا في بابه، وجعله من لفظة الحوش أي: الوحش، ومنه: حوشي الكلام.»[1]

. إن كتاب " المفردات" ل" الراغب الأصفهاني" من أحسن المصنفات في معرفة غريب القرآن . وهو من أهم المصادر التي لايمكن لأي عالم من علماء القرآن واللغة الاستغناء عنه ،لأنه يتضمن فوائد جمة في الدرسين القرآني واللغوي . فهو ينفع قراء كتاب الله ، مؤلفه أسهب كثيرا في شرح القرآنية شرحا لغويا، كما فسر بعضها تفسيرا دينيا . ف" الراغب" يدور مع معاني الألفاظ مهما اختلفت وتعددت ، مستأنسا بأدلة كثيرة ابتداء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ،وانتهاء بما أثر عن العرب من شعر وأمثال وأساليب لغوية فقد أجاد في هذا المضمار إجادة ،وبلغ غايته في تفسير غريب القرآن . فكتابه منه المتخصصون في الدرس اللغوي وغير المتخصصين . فهو بهذا المنهج أحيا الطريقة اللغوية ا في تفسير كتاب الله المجيد ، وأعاد إلى الأذهان قضية التفسير اللغوي التي سلكها الأقدمون من علماء القرآن أصحاب الاتجاه اللغوي . وقد أكد هذا الأمر الأستاذ أمين الخولي فذكر أن محاولة الراغب في كتاب " المفردات" تعد إحياء للمنهج اللغوي في تفسير القرآن الكريم بعد ه أكثر من قرن ونصف القرن [2]،وهي الفترة التي سبقت تأليف" المفردات" .

فكتاب المفردات وإن كان معجما خاصا بالمادة اللغوية في كتاب الله العزيز ، لكنه يعد من كتب التفسير القرآني ،لأن أحد معاني علم التفسير تنطبق عليه وذلك من خلال تعريف

---

[1] المفردات , ص111.
[2] دائرة المعارف الإسلامية مادة تفسير 572/5

الراغب له حيث قال :«إن التفسير هو إظهار المعنى المعقول ،وهو يختص بمفردات الألفاظ الغريبة [1]

يقوم منهج مؤلفه فيه على ترتيب المواد اللغوية على أساس الحروف الهجائية في أول المادة اللغوية لا في أواخرها ، كما هو الحال في المعاجم اللغوية التي تنتمي إلى المدرسة المعجمية الهجائية الألفبائية [2]كمعجمي الجيم لأبي عمرو الشيباني(تـ سنة 206 هـ)[3] والمجمل في اللغة لأبقي الحسين أحمد بن فارس الرازي اللغوي (تـ سنة 395هـ). وهما قد رتبا معجميهما ترتيبا ألفبائيا , قصد تيسير الوقوف على الغرض منه من سبيل قريب .

لقد رتب الراغب مفرداته ترتيبا ألفبائيا ليسهل على الباحثين الحصول عل مرادهم من غير صعوبة وفي مدة وجيزة فهو يقسم تفسيره إلى أقسام سمى كل قسم منها كتابا , وهي موزعة على حسب ترتيب الحروف الهجائية الألفبائية كأن يقول مثلا : كتاب الألف , الباء و كتاب التاء ...وهكذا إلى آخر الحروف العربية

ويعنون المصنف للمادة اللغوية في أكثر الأحيان بالحرف الأول من الثاني اللفظة القرآنية المقصود شرحها , فمثلا يقول كتاب الألف مع الباء , الألف مع التاء , الألف مع الثاء ... الخ , ويفعل كذلك إذا انتقل إلى الحرف الثاني , ويمضي على تلك الطريقة إلى آخر حروف الهجاء .

إن الراغب يدور مع اللفظة القرآنية الغريبة , وأبان عن كل ما يرتبط بها من معان واشتقاقات ,. وليس غريبا أن يكون الراغب بهذا المستوى فله باع طويل في اللغة العربية وعلومها المختلفة , وثقافته فيها واسعة إلى جد كبير فما ألفه من مصنفات في مجال التفسير واللغة يشهد له بها جميع من ترجم له , ومن أخذ عنه , على علو كعبه ومكانته المرموقة, وبلوغه الذروة حتى ذاع صيته فطار في الآفاق ,

وتصدى للتدريس وصنف الكثير ,وأبرز مصنفاته كتاب المفردات في غريب القرآن الذي نحن بصدد دراسة منهجه . فالداري لهذا الكتاب يستقرى إحاطة مؤلفه بدقائق اللغة

---

[1] المفردات للراغب مادة فسر

[2] فلمدارس المعجمية ثلاث ألأولى المدرسة الصوتية ورائدها الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العين المشهور . والثانية مدرسة القافية وأشهر روادها الجوهري صاحب الصحاح والثالثة المدرسة الألفبائية ، ومؤسسها ،،،،،،،،،،،،,,و ،

[3] أنظر ترجمته في الفهرست لابن النديم ش:د/يوسف علي الطويل, دار الكتب العلمية .ط1.1996, بيروت ص101.

وغرائبها , وإلمامه الواسع فيها . إن عناية الراغب الكبيرة بقضايا اللغة واهتمامه البالغ بها تظهر جليا من خلال شرحه لألفاظ الغريب في كتاب الله المجيد ,وتتبع أصولها واشتقاقها وهو يلتمس الشاهد إثر الشاهد من القرآن والحديث ومن كلام العرب شعرا كان أونثرا فالعربية وما تشتمل عليه من بيان لمعاني المفردات والتعريف بالمشتقات من أهم الأسس التي يعتمد عليها أهل التفسير , خاصة اللغويين منهم , لأن اقتحام ميدان التفسير من غير الرجوع إلى اللغة والتسلح بها أمر له آثاره السيئة على المفسر

وأول صورة نلمحها في كتاب المفردات هي تتبع المؤلف اللفظ القرآني الغريب , وتبيين مختلف المعاني التي جاءت فيه , وذلك من أول وهلة من الكتاب .

كما يؤكد الراغب في مقدمة غريبه هذا أن أول ما يحتاج إليه المفسر من علوم القرآن : العلوم اللفظية [1].ومن تلك العلوم تحقيق الألفاظ المفردة .

وينبه أيضا على أن تحصيل معاني ألفاظ القرآن الكريم وهو الطريق الأول لمن يريد أن يدرك معانيه ,

ويبين المصنف أن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبد ته وواسطته وعليها اعتماد الفقهاء والمفسرين , وإليها مفزع البلغاء والشعراء في نثرهم ونظمهم .

وبمقتضى ذلك نلاحظ أن المؤلف قد أورد جميع الألفاظ الغريبة التي جاءت في كتاب الله العزيز, ومن بين معانيها المختلفة مستأنسا بشواهد كثيرة ومتنوعة ويحاول الراغب أن يفسر تلك الألفاظ ويوضحها توضيحا خاليا من أي إبهام باللغة التي نزل بها القرآن الكريم .

كما يستعرض في مفرداته مباحث لغوية كثيرة يحاول بها أن يزيل أي غموض في اللفظ الغريب فيبين مدلوله .

لقد أفاد المصنف من تضلعه في مناهل العربية, وسقياه من رحيق أدبها بتذوق أسلوب الترتيل والكشف عن غوامض معانيه. وذلك باتباعه لمنهج محكم وذلك ما يظهر من خلال :

---

[1] أنظر مقدمة المفردات (القدمة)

المبحث الثاني:
استشهادات "الراغب"

المبحث الثاني: استشهادات "الراغب".

"الراغب" و الأثر:

ما لاحظناه على كتاب "**المفردات**" هو كثرة التفسير الوارد عن الصحابة و آل البيت والمفسرين. و يمثل هذا التفسير جزء مهما من كتاب "**الراغب**". و هو ما يعرف بالأثر أو المأثور وجل ما ورد عند "**الراغب**" من مأثور يورده بلا نسبة لقائله أحيانا و في بعض الأحيان ينسب الآراء لقائليها فقد ذكر لنا آراء كثيرة منسوبة إلى أمير لمؤمنين "**علي بن أبي طالب**" و"**ابن عباس**" و"**ابن مسعود**"، و "**قتادة**" و "**عكرمة**"... و من اللغويين نلمس استشهاده بأقوال "**الخليل**" و"**الفراء**" و"**سيبويه**" و"**الأخفش**"[1]. و من المعروف لدى الدارسين أنّ الأخذ بالمأثور من أصح الطرق في مجال تفسير القرآن الكريم. و يمكن الآن لنا أن نسوق بعض الشواهد من معجمه لنرى مدى أهميته في الانتفاع بالمأثور, ففي تفسيره لقوله تعالى: (**و أولي الأمر**)[النساء/59]، قال:«عنى الأمراء في زمن النبي و قيل: الأئمة من أهل البيت[*]، وقيل: الآمرون بالمعروف، و قال "**ابن عباس**" رضي الله عنهما: هم الفقهاء وأهل الدين المطيعون لله»[2]. فهذه كلّها أوجه في تفسير معنى الآية فيقول: « و كلّ هذه الأقوال صحيحة، ووجه ذلك: أنّ أولي الأمر الذين بهم يرتدع النّاس أربعة: الأنبياء، و حكمهم على ظاهر العامة والخاصة و على بواطنهم، و الولاة، و حكمهم على ظاهر الكافة دون باطنهم، والحكماء، وحكمهم على باطن الخاصة دون الظاهر، و الوعظة، و حكمهم على بواطن العامة دون ظواهرهم»[3].

و من المأثور أيضا ما ورد عن "ابن مسعود" τ في قوله تعالى: (**فمستقر ومستودع**) [الأنعام/ 98]، قال "**ابن مسعود**": مستقر في الأرض و مستودع في القبور[4].

وحتى لا نقول إنّ "**الراغب**" اقتصر في مأثوره على ما ورد عن الصحابة نجده يعتمد في تفسير بعض الآيات فيما ورد عن اللغويين إذا كان تفسيرهم يحتمل الصواب. و من ذلكما

---

[1])- أنظر المعيار: دورية علمية محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية العدد الثاني د: سامي عبد الله أحمد الكتاني، قواعد التفسير في معجم المفردات:ص37/36.

[*])- (وهذا قول الشيعة).

[2])- المفردات ص35.

[3])- المفردات ص35.

[4])- المفردات ص399.

أورده في قوله تعالى:(**و منهم أميون لا يعلمون الكتاب إلاّ أماني)** [البقرة/78]، قال "**الراغب**":« أي: إلاّ أن يتلى عليهم. قال "**الفراء**": هم العرب الذين لم يكن لهم كتاب»[1].

و في قوله تعالى: (**و لا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها**)[النحل/91]، قال "**الخليل**"[2]: أكدت في عقد الأيمان أجود، و وكدت في القول أجود، تقول إذا عقدت: أكدت، و إذا حلفت وكدت ووكد وكده: إذا قصد قصده وتخلق بخلقه[3].

وغير هذا كثير، يزخر به كتاب "**المفردات**" و إنّما أردت الإشارة إلى أنّ "**الراغب**" لم يكن بدعا من المفسرين بل قد حذا حذوهم في منهجهم و الذي من بينه التفسير بالأثر.

الاستشهاد بالحديث الشريف:

إنّ الملاحظ للدرس النحوي و اللغوي عموما يرى أن النحاة تحرجوا في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، و لم يبنوا عليه قواعدهم النحوية. و الحق أنّ اللغويين الأوائل لم يتحرجوا من الاستشهاد به في اللغة بقدر ما أحرجهم الأمر في ميدان النحو. فقد كانوا أوسع للأخذ به في ميدان اللغة.

كما نجد الانتشار الواسع للحديث الشريف عند المعجميين[4].

و لا يخفى على ذهن الدارسين أنّ النبي قد فسر لأصحابه القرآن الكريم و ذلك من خلال بيان مجمله و توضيح مبهمة أو عن إجابته لبعض أسئلة الصحابة رضوان الله عليهم. ولذا فقد كان للحديث الشريف في "مفردات" "**الراغب**" نصيب وافر في الاستشهاد به بكم هائل غير محدود من الأحاديث مثله مثل أصحاب المعجمات، هذه الأحاديث التي كانت متنوعة المناسبات والأغراض و من ذلك:

الأول: أن يقصد ما يحسن قصده فيفعله، و ذلك هو الصواب التام المحمود به الإنسان.

---

[1])- نفسه ص33.
[2])- المفردات 546.
[3])-
[4])- قواعد التفسير في معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني مقال للدكتور سامي عبد الله أحمد الكنانيص، 28/ 29.

و الثاني: أن يقصد ما يحسن فعله، فيتأتى منه غيره لتقديره بعد اجتهاده أنّه صواب، وذلك هو المراد بقوله: (كل مجتهد مصيب)[1].

وروي: (المجتهد مصيب و إن أخطأ فهذا له أجر)[2]، كما روي: (من اجتهد فأصاب فله أجران، و من اجتهد فأخطأ فله أجر)[3].

و من ذلك أيضا ما ورد في مادة **أمة**: (**إنّ إبراهيم كان أمة قانتا لله**) [النحل/120] أي: قائما مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة. و روي: (أنّه يحشر **"زيد بن عمرو بن نفيل"** أمة وحده)[4].

و منه أيضا ما ورد في تفسيره لمادة **هان**. فقد ذكر أنّها قد تستخدم للمدح أو الذم: الهوان على وجهين:

أحدهما: تذلل الإنسان في نفسه لما لا يلحق به غضاضة، فيمدح به نحو قوله: (**و عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا**) [الفرقان/63]، و نحو ما روي عن النبي ρ: (المؤمن هين لين)[5].

الثاني: أن يكون من جهة متسلطا مستخفا به فيذم به. و على الثاني قوله تعالى: (**اليوم تجزون عذاب الهون**) [الأنعام/93]»[6].

---

[1])- المفردات، ص291([استدراك] هذه قاعدة فقهية، و ليست حديثا. و هي ظاهر قول مالك و أبي حنيفة. و معناها: كل مجتهد في الفروع التي لا قاطع فيها مصيب في اجتهاده، و ليست على إطلاقها، إذ لا يجوز أن يقال: كل مجتهد في الأصول الكلامية - أي: العقائد الدينية - مصيب؛ لأن ذلك يؤدي إلى تصويب أهل الضلالة من النصارى القائلين بالتثليث، و الثنوية من المجوس في قولهم بالأصلين للعالم: النور والظلمة، والكفار في نفيهم التوحيد، وبعثة الرسل، والمعاد في الآخرة. انظر: فتح الباري لـ"أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (773هـ/852هـ)، دار المعرفة بيروت سنة النشر 1379، محمد فؤاد عبد الباقي، محي الدين الخطيب.7/ص409.

[2])- المفردات، ص291 (المروي في ذلك عن عمرو بن العاص أن النبي ρ قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد) متفق عليه:البخاري.6 / 2676.،صحيح مسلم.3/1342.

[3])- (المروي في ذلك عن عمرو بن العاص أن النبي ρ قال: (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، و إن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد) متفق عليه: البخاري 318/13 كتاب الاعتصام، مسلم (1342) كتاب الأقضية).

[4])- المفردات، ص33. (الحديث في مسند الطيالسي ص 32 عن سعيد بن زيد أنه قال للنبي ρ: إن أبي كان كما رأيت وكما بلغك فاستغفر له، قال: (نعم فإنه يبعث يوم القيامة أمة وحده) مسند الطيالسي)*)_(سليمان بن داود أبو داود الفارسي البصري الطيالسي توفي 204هـ دار المعرفة، بيروت. ج/1/ص32.

[5])- (عن مكحول مرسلا قال: قال رسول الله ρ: (المؤمنون هينون لينون كالجمل الأنف، إن قيد انقاد، وإن أنيخ على صخرة استناخ). أخرجه ابن المبارك في الزهد عبد الله بن المبارك بن واضح المرزوي أبو عبد الله (118هـ/181هـ)، دار الكتب العلمية بيروت تـ: حبيب الرحمان الأعظمي، ص130/1؛ و انظر: شعب الإيمان لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي 384هـ/458هـ*دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1410هـ تـ:محمد السعيد بسيوني زغلزل، 272/6.

[6])- المفردات، ص214.

و يعتبر الاستشهاد بالحديث الشريف عند **"الراغب"** من أهم قواعد التفسير التي يتبعها للاستئناس به في تقريره لمعنى دون آخر الأمر الذي دعانا إلى الحكم عليه بأنّه من المطلعين على كلام رسول الله وموقن أنّ كلام الرسول أقوى كلام في الفصاحة و البلاغة و البيان بعد القرآن الكريم.

الاستشهاد بالنحو:

و من العلوم التي يولي لها علماء التفسير أهمية كبرى بل يعتبرونها أحيانا من أجل العلوم ويحثون على طلبه؛ علم النحو وهو أحد العلوم التي يعول عليها كثيرا في تفسير القرآن الكريم. ذلك أن معاني الكلمات تترجح بحسب آخرها من حركة إعرابية فتتبين لنا وظيفتها في التركيب أو من ناحية الأسلوب فكان لزاما على المفسر الدراية به. و الكلّ يعلم الواقعة التي حدثت عند تلاوة قوله تعالى: (**أنّ الله بريء من المشركين و رسولُه**)[التوبة/3] بالكسر. وقد تبين لي أثناء مدارستي لكتاب **"المفردات"** أنّ صاحبه كان ضليعا بهذا العلم بشقيه؛ النحو والصرف فمن المواد التي لمسته أبرز فيها معرفته بالنحو. فقد ذكر في اسمية ما خمسة أقوال وفي حرفيتها مثل ذلك.

« و ما في كلامهم عشرة: خمسة أسماء، و خمسة حروف. فإذا كان اسما فيقال للواحد و الجمع والمؤنث على حد واحد، و يصح أن يعتبر في الضمير لفظه مفردا، و أن يعتبر معناه للجميع.

فالأول من الأسماء بمعنى الذي نحو: (**و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم**) [يونس/18] والآية بتمامها: (**و يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون: هؤلاء شفعاؤنا عند الله، قل: أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات و لا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**) ثمّ قال: (**هؤلاء شفعاؤنا عند الله**) [يونس/18] لما أراد الجمع، وقوله: (**و يعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا...**) الآية [النحل/73]، فجمع أيضا، و قوله: (**بئسما يأمركم به إيمانكم**) [البقرة/93].

الثاني: نكرة. نحو: (**نعما يعظكم به**) [النساء/58] أي: نعم شيئا يعظكم به، و قوله: (**فنعما هي**) [البقرة/271]، فقد أجيز أن يكون ما نكرة من قوله: (**ما بعوضة فما فوقها**)

[البقرة/26]، و قد أجيز أن يكون صلة، فما بعده يكون مفعولا. تقديره: أن يضرب مثلا بعوضة.

الثالث: الاستفهام، و يسأل به عن جنس ذات الشيء، و نوعه، و عن جنس صفات الشيء، ونوعه، و قد يسأل به عن الأشخاص، و الأعيان في غير الناطقين. و قال بعض النحويين: و قد يعبر به عن الأشخاص الناطقين[*] كقوله تعالى: (**إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**) [المؤمنون/6]، (**إنّ الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء**) [العنكبوت/42] و قال الخليل: ما استفهام. أي: أي شيء تدعون من دون الله؟ و إنّما جعله كذلك؛ لأنّ (ما) هذه لا تدخل إلاّ في المبتدأ و الاستفهام الواقع آخرا.

الرابع: الجزاء نحو: (**ما يفتح الله للنّاس من رحمة فلا ممسك لها، و ما يمسك فلا مرسل له**) الآية [فاطر/2]. و نحو: ما تضرب أضرب.

الخامس: التعجب نحو: (**فما أصبرهم على النار**) [البقرة/175].»[1]، فهذه جملة من الآراء النحوية التي ذكرها الراغب حول اسمية «ما».

و أمّا الحروف:

فالأول: أن يكون ما بعده بمنزلة المصدر كأنّ الناصبة للفعل المستقبل. نحو: (**و ممّا رزقناهم ينفقون**) [البقرة/3] فإنّ (ما) مع رزق في تقدير الرزق، و الدلالة على أنّه مثل (أنّ) أنّه لا يعود إليه ضمير لا ملفوظ به و لا مقدر فيه، و على هذا حمل قوله: (**بما كانوا يكذبون**) [البقرة/10]، و على هذا قولهم: أتاني القوم ما عدا زيدا، و على هذا إذا كان في تقدير ظرف نحو: (**كلّما أضاء لهم مشوا فيه**) [البقرة/20]، (**كلّما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله**)[المائدة/64]، (**كلّما خبت زدناهم سعيرا**) [الإسراء/97]. و أمّا قوله: (**فاصدع بما تؤمر**) [الحجر/94]، فيصح أن يكون مصدرا و أن يكون بمعنى الذي و اعلم أنّ (ما) إذا كان مع ما بعدها في تقدير المصدر لم يكن إلاّ حرفا؛ لأنّه لو كان اسما لعاد إليه ضمير، و كذلك قولك: أريد أن أخرج؛ فإنّه لا عائد من الضمير إلى أن، و لا ضمير لها بعده.

---

[*])- (قال الزركشي: وجوز بعض النحويين أن يسأل بها عن أعيان من يعقل أيضا، حكاه الراغب. فإن كان مأخذه قوله تعالى عن فرعون: (**وما رب العالمين**) فإنّما هو سؤال عن الصفة؛ لأنّ الرب هو المالك، و الملك صفة، و لهذا أجابه موسى υ بالصفات، و يحتمل أن (ما) سؤال عن ماهية الشيء، و لا يمكن ذلك في حق الله تعالى، فأجابه موسى υ تنبيها على صواب السؤال. راجع: البرهان في علوم القرآن 403/4).

[1])- المفردات، ص462. و الظاهر أنّ ما في مثل هذه الآية خرجت عن معنى التعجب المحض لتدل على التهكم..

الثاني: للنفي و أهل الحجاز يعملونه بشرط نحو: (**ما هذا بشرا**) [يوسف/31][*].

الثالث: الكافة، و هي الداخلة على (أنّ) و أخواتها و (ربَّ) و نحو ذلك، و الفعل. نحو: (**إنّما يخشى الله من عباده العلماء**)[فاطر/28]، (**إنّما نملي لهم ليزدادوا إثما**) [آل عمران/178]، (**كأنّما يساقون إلى الموت**) [الأنفال/6]، و على ذلك (ما) في قوله: (**ربما يود الذين كفروا**) [الحجر/2]، و على ذلك: قلما و طالما فيما حكي.

الرابع: المسلطة، و هي التي تجعل اللفظ متسلطا بالعمل، بعد أن لم يكن عاملا. نحو: (ما) في إذما، و حيثما، لأنّك تقول: إذ ما تفعل أفعل، و حيثما تقعد أقعد، فإذ وحيث لا يعملان بمجردهما في الشرط، ويعملان عند دخول (ما) عليهما.

الخامس: الزائدة لتوكيد اللفظ في قولهم: إذا ما فعلت كذا، و قولهم: إمّا تخرج أخرج. قال: (**فإمّا ترين من البشر أحدا**) [مريم/26]، و قوله: (**إمّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما**)[الإسراء/23].»[1]، هذا من جانب معرفته بالنحو العربي و الآراء النحوية و إنّما اخترت هذا المثال لكي نبين غزارة معرفة لراغب بـ[ما] فما بالنا بالحروف الأخرى و الأبواب النحوية الأخرى.

هذا من جهة. أمّا من جهة أخرى فإنّه يستغل النحو في قضية مهمة هي التوجيه للقراءات القرآنية و ما أكثرها في مفرداته ففي قوله تعالى:(**أمرنا مترفيها**) [الإسراء/16] أي: أمرناهم بالطاعة، و قيل: معناه: كثرناهم.

وقال "**أبو عمرو**": لا يقال: أمرت بالتخفيف في معنى كثرت، و إنّما يقال: أمرت وآمرت.

وقال "**أبو عبيدة**": قد يقال: أمرت بالتخفيف نحو: (خير المال مهرة مأمور وسكة مأبورة)[*].

---

[*])- (وشرط عملها ما ذكره ابن مالك في ألفيته: إعمال (ليس) أعملت (ما) دون (إن) * مع بقا النفي، و ترتيب زكن وسبق حرف جر أو ظرف ك ما * بي أنت معنيا أجاز العلما)

[1])- المفردات، ص 462

[*])- (الحديث أخرجه أحمد في مسنده أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني (164هـ،211هـ). مؤسسة قرطبة، مصر3/ 468، و انظر: مسند الحارث (زوائد الهيثمي) لحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي 168هـ/282هـ. مركز خدمة السنة و السيرة النبوية – المدينة المنورة 1413.هـ1992.ط1، تـ:د،حسين أحمد صالح الباكري 488/1. المأمورة: الكثيرة، والسكة: الطريقة من النخل، المأبورة: الملقحة) وفعله: أمرت.

و قرئ: (أمرنا)[*] أي: جعلناهم أمراء، و كثرة الأمراء في القرية الواحدة سبب لوقوع هلاكهم، ولذلك قيل: لا خير في كثرة الأمراء، و على هذا حمل قوله تعالى: (**و كذلك جعلنا في كلّ قرية أكابر مجرميها**) [الأنعام/123]، و قرئ: (أمـَّـرنا)[*] بمعنى: أكثرنا[1]. و قد اختلف القراء في قراءة قوله أمرنا مترفيها فقرأت ذلك عامة قراء الحجاز و العراق أمرنا بقصر الألف وغير مدها وتخفيف الميم وفتحها و إذا قرئ ذلك كذلك فإنّ الأغلب من تأويله أمرنا مترفيها بالطاعة ففسقوا فيها بمعصيتهم الله و خلافهم أمره كذلك تأوله كثير ممن قرأه كذلك[2]. و قد كان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول قد يتوجه معناه إذا قرئ كذلك إلى معنى أكثرنا مترفيها و يحتج لتصحيحه ذلك بالخبر الذي روي عن رسول الله أنّه قال: (خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة)، و يقول إنّ معنى قوله مأمورة كثيرة النسل[3]. و غير هذا كثير متوفر يمكن أن يكون مجالا خصبا للدراسات اللغوية القرآنية[4] كمثل ما ورد في قوله تعالى: (**حتى يقول الرسول**) [البقرة 214]. رفعا ونصبا و قوله تعالى: (**كذلك يطبع الله على كلّ قلب متكبر جبار**) [غافر 35]، بالتنوين وعدمه. و قوله تعالى: (**و كفلها زكريا**)[آل عمران 37]. تشديدا وتخفيفا.

و سننتقل الآن إلى موضوع أشد لزاقة بالنحو بل هو جزء منه و هو الآخر يشدد العلماء على ضرورة العلم به بالنسبة للمفسر, و هو علم يعنى ببناية اللفظة و ملاحظة تقلباتها وصيغها وأوزانها, و هو علم جدير بالدراسة لكون الصيغة تتحمل معنىً لا تتحمله صيغة غيرها, و لعلّ هذه الخاصية امتازت بها العربية عن غيرها من اللغات. و من هنا رأينا أنّه من الضرورة بمكان أن نتطرق لعلم الصرف عند "**الراغب**" كونه مفسرا لكتاب **الله** Y.

إنّ "**الراغب**" لذو تمكن واضح في هذا العلم, فهو يصل إلى حد الترجيح في بعض الآراء الموجودة عند علماء هذا الفن فقد لمسنا تصويبات صرفية وردا على بعض الآراء في

---

[*])-
[*])- الحسن و مجاهد و أبي عثمان النهدي و أبي رجاء و أبي العالية، و هي قراءة علي τ راجع تفسير القرطبي 232/10.
[1])- المفردات، ص35.
[2])- أنظر: تفسير الطبري، 54/15.
[3])- السابق، 55/15.
[4])-

الآية: (**فادارءتم فيها**) [البقرة/72]،إذ يقول:« هو تفاعلتم، أصله: تدار أتم، فأريد منه الإدغام تخفيفا، وأبدل من التاء دال فسكن للإدغام فاجتلب لها ألف الوصل فحصل على افاعلتم.»[1].

ثمّ يتعرض للقائلين بأنّ أصلها من افتعلتم. « قال بعض الأدباء: ادارأتم افتعلتم»[2] و لا يدع **"الراغب"** هذه المسألة الصرفية بدون تعليق. فقد رد على هذا لرأي من أوجه:

أولا: أنّ ادارأتم على ثمانية أحرف، و افتعلتم على سبعة أحرف.

و **الثاني**: أنّ الذي يلي ألف الوصل تاء، فجعلها دالا.

و **الثالث**: أنّ الذي يلي الثاني دال، فجعلها تاء.

و **الرابع**: أنّ الفعل الصحيح العين لا يكون ما بعد تاء الافتعال منه إلاّ متحركا، و قد جعله ها هنا ساكنا.

و **الخامس**: أنّ ها هنا قد دخل بين التاء و الدال زائد. و في افتعلت لا يدخل ذلك.

و **السادس**: أنّه أنزل الألف منزل العين، و ليست بعين.

السابع: أنّ افتعل قبله حرفان، و بعده حرفان، و ادارأتم بعده ثلاثة أحرف[3].

و قد رد على بعض أصحا ب الإمام **"الشافعي"** في الآية: (**و أنزلنا من السّماء ماء طهورا**) [الفرقان/48]. و ذلك عندما قالوا إنّ: « الطهور بمعنى المطهِّر»[4] حيث ذكر أنّ ذلك لا يصح و ذلك لا يصح من حيث اللفظ لأنّ فعولا، لا يبنى من أفعل و فعّل، و إنّما يبنى ذلك من فعُل و قيل: إنّ ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى، و ذلك أنّ الطاهر ضربان: ضرب لا يتعداه الطهارة كطهارة الثوب، فإنّه طاهر غير مطهر به، و ضرب يتعداه، فيجعل غيره طاهرا به، فوصف الله تعالى الماء بأنّه طهور تنبيها على هذا المعنى[5].

---

1)- المفردات، ص174.
2)- نفسه، ص 174.
3)- نفسه، ص 174.
4)- نفسه، ص 311.
5)- نفسه، ص 311.

فانظر إلى ضرورة علمي الصرف، و النحو في التفسير، و كيفية ترجيح معنى على معنى من خلال الرجوع إلى أصول الصيغ و أوزانها, هذا العلم الذي أهمل أيما إهمال من قبل باحثينا المعاصرين، و النتيجة التي يمكن أن نجزم بها هو أنّ **"الراغب"** كان ذا نظرة متقدة وصاحب قدم راسخة في هذا الفن، كيف لا و هو الذي يصل إلى درجة الترجيح في مسائل علم الصرف.

الاستشهاد بالشعر:

للشعر أهمية كبرى في اللغة العربية. فمنذ بداية جماع اللغة و مشيهم عبر البوادي أعطوا العناية الفائقة للشعر و ذلك لأنّه يقيد المعاني الشاردة و الألفاظ الغريبة الصعبة و لأنّ الشعر قبل ذا وذاك ديوان العرب. و لقد أعطى أهل اللغة الأهمية القصوى للاستشهاد به ممّا جعل كتب النحو واللغة تزخر بكم هائل من الشعر العربي. لكن اللغويين اشترطوا حد الفصاحة المتوفر في ثلاث طبقات مستثنين طبقة المولدين و هم الذين عاشوا ابتداء من العصر العباسي. و على هذا الأساس فالطبقات التي يجوز الاستشهاد بشعرها ثلاث

الأولى: طبقة الجاهليين:

و يمثلها جميع من عاش في الفترة الممتدة قبل الإسلام و من بينهم **"امرئ القيس"** و**"عنترة"** و**"طرفة بن العبد"** و**"عمرو بن كلثوم"** و**"النابغة الذبياني"**.

الثانية طبقة المخضرمين:

و يمثلها **"كعب بن زهير"** و**"متمم بن نويرة"** و**"الخنساء"** و**"حسان بن ثابت"**, و هي طبقة الشعراء الذين عاشوا في الفترة الممتدة من قبل مجيء الإسلام إلى صدره.

الثالثة طبقة الإسلاميين:

و منهم **"جرير"** و**"الفرزدق"** و**"الأخطل"**, و إذا أتينا لتتبع الأبيات التي يستشهد بها **"الراغب"** فإنّنا نلاحظ عدة ميزات.

1- عدم نسبة الكثير من الأبيات لقائليها ممّا كلفنا عناء و مشقة في نسبت بيت بعينه لشاعر معين.

2- الاستشهاد بأنصاف الأبيات و هو أمر مطرد و كثير في كتاب المفردات.

3- لا تكاد تخلو مادة لغوية من بيت شعري.

و لعلنا الآن نطرح السؤال الآتي هل احترم "**الراغب**" المقاييس التي وضعها أهل اللغة في قضية الاستشهاد ؟ و بمن استشهد يا ترى ؟

لقد استشهد بالشعر الجاهلي المتمثل في شعر "**امرئ القيس**" و مثال ذلك:

«و بيقر الرجل في المال و في غيره: اتسع فيه، و بيقر في سفره: إذا شق أرضا متوسعا في سيره، قال الشاعر:

ألا هل أتاها و الحوادث جمة ∃ بأنّ امرئ القيس بن تملك بيقرا»[1][2].

و من أنصاف الأبيات التي أوردها عن "**امرئ القيس**" في أنّ الثياب قد تأتي بمعنى النفس:

« و قيل: الثياب كناية عن النفس لقول الشاعر: **ثياب بني عوف طهارى نقية**»[3].

ومن الأبيات التي هي من طبقة الشعر الجاهليين لـ"**طرفة بن العبد**" في مادة **صوب**, و ذلك حين رأى أنّها نزول للمطر بقدر فقال: « و جعل الصوب لنزول المطر إذا كان بقدر ما ينفع، و إلى هذا القدر من المطر أشار بقوله: (**و أنزلنا من السّماء ماء بقدر**) [المؤمنون/18]، قال الشاعر:

فسقى ديارك غير مفسدها ∃ صوب الربيع و ديمة تهمي»[4].

و قد يستشهد بنصف البيت مثلما ذكرنا و من ذلك: « و الكلم الأصيل كأرغب الكلم »[5].

---

[1])- المفردات، ص 66، (البيت لامرئ القيس في ديوانه ص 62؛ و اللسان (بقر) 75/4.
(البيت لامرئ القيس في ديوانه ص 62؛ و اللسان (بقر) 75/4.. [2]المفردات، ص 66
[3])- الشطر لمرئ القيس، و عجزه و أوجههم بيض المسافر غران و هو في ديوانه، ص 167، و اللسان مادة ثوب246/1. المفردات، ص 98.
[4])- المفردات 291 البيت لطرفة بن العبد، في ديوانه ص 88 . اللسان 365/15.مادة (همي).
[5])- المفردات، ص 441. » (هذا عجز بيت لطرفة بن العبد من أبيات له يهدد المسيب بن علس، و البيت بتمامه:بحسام سيفك أو لسانك والـ كلم والأصيل كأرغب الكلم.

و قد استشهد بشعر "**النابغة الذبياني**" في تعريفه **للحكم**: « و الحكم بالشيء: أن تقضي بأنّه كذا، أو ليس بكذا، سواء ألزمت ذلك غيره أو لم تلزمه، قال تعالى: (**وإذا حكمتم بين النّاس أن تحكموا بالعدل**) [النساء/58]، (**و يحكم به ذوا عدل منكم**) [المائدة/95]، و قال:

فاحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت ∃ إلى حمام سراع وارد الثمد»[1].

و من بين استشهاداته للطبقة الثانية، استشهاده لأبيات منسوبة لـ"**كعب بن زهير**" و ذلك حينما عرض لتعريف الائتمار بقوله إنّه: « قبول الأمر، و يقال للتشاور: ائتمار لقبول بعضهم أمر بعض فيما أشار به.

قال تعالى: (**إن الملأ يأتمرون بك**) [القصص/20]. قال الشاعر: **و آمرت نفسي أي أمري أفعل**»[2].

و من استشهاده بالطبقة الثالثة، استشهاده بشعر "**جرير**" بالبيت المعروف في نواقضه مع "**الفرزدق**" في مادة «غض» و قد عرفها قائلا: «الغض: النقصان من الطرف، و الصوت، و ما في الإناء. يقال: غض وأغض. قال تعالى: (**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**) [النور/30]، (**و قل للمؤمنات يغضضن**) [النور/31]، (**واغضض من صوتك**) [لقمان/19]، و قول الشاعر: **فغض الطرف إنّك من نمير**»[3].

و من استشهاداته بالطبقة الرابعة نأخذ استشهاده بشعر "**أبي نواس**": « و قوله: (**أدخلني مدخل صدق و أخرجني مخرج صدق**) [الإسراء/80]، (**و اجعل لي لسان صدق في الآخرين**) [الشعراء/84]، فإنّ ذلك سؤال أن يجعله الله تعالى صالحا، بحيث إذا أثنى عليه من بعده لم يكن ذلك الثناء كذبا بل يكون كما قال الشاعر:

---

[1])- (البيت للنابغة الذبياني من معلقته، اللسان (حكم)) و الثمد: الماء القليل، و قيل معناه: كن حكيما، المفردات، ص 134.

[2])- المفردات ص35. (هذا عجز بيت لكعب بن زهير، وشطره الأول: أنخت قلوصي و اكتلأت بعينها ***، وهو في ديوانه ص 55 لقرطبي، 291/11.

[3])- المفردات، ص 323.(الشطر لجرير، وعجزه: فلا كعبا بلغت ولا كلابا. وهو من قصيدة يهجو بها الراعي، و مطلعها: أقلي اللوم عاذل و العتابا * و قولي إن أصبت لقد أصابا. وهو في ديوانه، ص61.

إذا نحن أثنينا عليك بصالح ∃ فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني»[1].

و قد أورد **"الراغب"** أبياتاً كثيرة يستشهد بها لأغراض كثيرة, إمّا لوجود المادة اللغوية عند تصرفها بنفس الصيغة الموجودة في الشعر[*], و إمّا أن تكون القضية نحوية أو فقهية[2], وإمّا للتأكيد أنّ هذا المعنى قد تكلمت به العرب في شعرها.

و قد يستدل ببيت من الشعر على صورة بلاغية، قال تعالى: (**و لو كنتم في بروج مشيدة**) [النساء /78] يقول: « يصح أن يراد بها: بروج في الأرض، و أن يراد بها بروج النجوم: ويستعمل لفظ «المشيدة» على سبيل الاستعارة، و تكون الإشارة بالمعنى إلى نحو ما قال **"زهير"**:

و **من هاب أسباب المنايا ينلنه ∃ ولونا أسباب السماء بسلم»**[3].

و الحقيقة أنّ القضايا التي استشهد **"الراغب"** لأجلها متعددة و كثيرة. و أظن أنّها تحتاج لبحوث خاصة, لأنّي هنا أحاول رصد أهم ما يميز هذا المفسر اللغوي الراوية للشعر من جهة, والمحسن لاستعماله و توظيفه متى تطلب منه الأمر ذلك من جهة أخرى. لأنّه و في تقديري البسيط لا يفهم كلام الله تعالى الذي هو عربي إلاّ بما هو عربي و متى كان الإنسان حاصلا على هذه الوسيلة فبإمكانه أن يصل بدون عناء إلى معرفة كنه الآيات, مثلما فعل **"الراغب"** و غيره من أسلافنا.

الاستشهاد بلهجات العرب:

و من الأمور التي حسبت لصالح **"الراغب الأصفهاني"** هو أنّه كان عالما ببعض لهجات العرب وقد لمسنا ذلك في مواقع كثيرة تطلب منه واجب التفسير أن يشير إليها و ذلك حينما يتطلب الشرح منه ذلك. أو في بعض الكلمات الموجودة أصلا في القرآن الكريم و توجد أيضا في اللهجات العربية.

---

[1])- المفردات، ص281 (البيت لأبي نواس، و بعده: و إن جرت الألفاظ منا بمدحه * لغيرك إنسانا فأنت الذي نعني. و هو في تفسير القرطبي محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي أبو عبد الله (تـ671)، دار الشعب القاهرة، ط 2، 1372.تـ:أحمد عبد العليم البردوني (135/1

[*])- أنظر استشهاده ببيت لأبي ذؤيب الهذلي في مسألة صرفية و هي اشتقاق المصدر ص مادة ضعف.300.

[2])- أنظر: المفردات، ص 156. في مادة خطأ استشهد ببيت لم نعثر على نسبته.

[3])- المفردات، ص58.

ففي قوله تعالى: (**هاؤم اقرءوا كتابيه**) [الحاقة/19]، يضع "**الراغب**" تعريفا لهذه اللفظة القرآنية حيث يقول: « و (ها) كلمة في معنى الأخذ، و هو نقيض: هات. أي: أعط، يقال: هاؤم، و هاؤما، و هاؤموا، و فيه لغة أخرى: هاء، وهاآ، و هاؤا، و هائي، و هأن، نحو: خفن وقيل: هاك، ثمّ يثنى الكاف و يجمع و يؤنث»[1]. و ذلك بعد أن ذكر أنّها للتنبيه في هذا وغيرها، و أنّها صارت كالحرف الواحد.

فانظر إلى كيفية استشهاده بلهجات العرب و تأصيله لها و ذكر جميع تقاليب اللهجة من الناحية التصريفية، و لعلّ الأمر يبدوا أكثر وضوحا عندما نتطرق إلى ذكره لكلمة ذو ويبين القبيلة التي استعمله مكان اسم الإشارة فيقول: « و الثاني في لفظ ذو: لغة لطي، يستعملونه استعمال الذي، ويجعل في الرفع، و النصب و الجر، و الجمع، و التأنيث على لفظ واحد»[*] نحو:

و بئري ذو حفرت وذو طويت[*] أي: التي حفرت والتي طويت[2].

و من ذلك أيضا تعرضه لبض المواد اللغوية غير المستعملة في القرآن الكريم و لكن نوردها استئناسا لتبيين مقدرة هذا النحر ير على تأصيل الكلام العربي و من ذلك مادة [سلط]، فـ"**الراغب**" يعرفه قائلا: « و السليط: الزيت بلغة أهل اليمن وذلك في مادة (سلط)»[3].

الاستشهاد بالأمثال:

و من الأمور التي لاحظتها على كتاب "**الراغب**"، هو أنّه يستعمل المثل ضمن منهجه التكاملي. و المثل في الحقيقة له درس مستقل. فقد أفرد له الدارسون العرب كتبا خاصة به كـ"**مجمع الأمثال**" وغيره، هذا على مستوى الدرس اللغوي, و قد أفردوا له مباحث خاصة في الدراسات القرآنية فيما عرف بموضوع المثل في القرآن الكريم؛ كما عرف ذلك عند "**السيوطي**" و"**الزركشي**".

---

[1])- المفردات، للراغب، ص 513.

[*])- (وفي ذلك قال ابن مالك في ألفيته: و من و ما و أل تساوي ما ذكر *** و هكذا (ذو) عند طيىء شهر).

[*])- هذا عجز بيت، و شطره:فإنّ الماء ماء أبي وجدي وهو لسنان بن فحل الطائي. شرح قطر الندى و بل الصدى، لأبي محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري تـ: محمد محي الدين عبد الحميد، دار رحاب للنشر والطباعة والتوزيع، ص 114.

[2])- المفردات، ص 177.

[3])- نفسه، ص 244.

و"**الراغب**" لا تكاد الفرصة تفوته في ذكر بعض الأمثلة إمّا استئناسا أو استشهادا أو استطرادا.

فقد أورد مفصلا في مادة **صدق**: « وصدقت فلانا: نسبته إلى الصدق، و أصدقته: وجدته صادقا، و قيل: هما واحد، و يقالان فيهما جميعا. قال: (**و لما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم**) [البقرة/101]، (**و قفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه**) [المائدة/46]، و يستعمل التصديق في كلّ ما فيه تحقيق، يقال: صدقني فعله و كتابه. قال تعالى: (**و لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم**) [البقرة/89]، (**نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه**) [آل عمران/3]، (**و هذا كتاب مصدق لسانا عربيا**) [الأحقاف/12]، أي: مصدق ما تقدم، و قوله: (لسانا) منتصب على الحال، و في المثل: صدقني سن بكره هذا مثل يضرب في الصدق»[1].

و يعطي "**الراغب**" تفسيرا للمثل ويشرح ماهيته في مادة «مثل» فيقول:

« و المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء آخر بينهما مشابهة؛ ليبين أحدهما الآخر ويصوره. نحو قولهم: الصيف ضيعت اللبن[*]»[2].

و الأمثلة التي ذكرها "**الراغب**" في كتابه قليلة[3], و إنّما ذكرها استطرادا في مواضيع معينة والسبب في ذكره لها أنّها من كلام العرب المتواتر الذي يمكن لنا أن نثق به, و اللغويون إنّما يستشهدون بالشعر و القرآن, أمّا المثل فقد تكلمنا عليه من جانب المنهجية لا غير.

استشهاده بالفقه:

و من علوم الوسائل التي تلزم المفسر أيضا علم الفقه, ذلك أنّ كتاب الله Y مليء بآيات الأحكام المتضمنة للفقه خاصة كفقه الصلاة و فقه الزكاة و فقه الحج و المواريث و الطلاق وغيرها كثير. فمصدر التشريع الأول بالإجماع هو كتاب الله المجيد, و الحقيقة أنّه لا يحق لمن هب ودب أن يتكلم في هذه المواضيع لذا كان من الضرورة بمكان على المفسر أن يبيّن للنّاس الأحكام الواردة في القرآن, و هكذا فعل "**الراغب**" فقد بيّن أنّه ذا قدم راسخة في الفقه في كثير

---

[1])- السابق، ص 281.

*)- (المثل يضرب لمن يطلب شيئا قد فوته على نفسه).

[2])- نفسه، ص465.

[3])- الأمثلة التي ذكرها لا تتجاوز الأربع أمثلة وقد أحصينا ذلك في كتابه.أنظر أيضا المفردات، ص 468

من المواد التي فسرها و قد اخترنا منها مادتي -**عود، صيد**- الذين بين فيهما بعض الآراء الفقهية, فقد ذكر في مسألة **الظهار**: « و قوله: (**و الذين يظاهرون من نسائهم ثمّ يعودون لما قالوا**) [المجادلة/3]، فعند أهل الظاهر هو أن يقول للمرأة ذلك ثانيا، فحينئذ يلزمه الكفارة. وقوله: (**ثمّ يعودون**) كقوله: (**فإنّ فاءوا**) [البقرة/226]»[1].

و يذكر لنا رأي "**أبي حنيفة**" و"**الشافعي**":« وعند "**أبي حنيفة**": العود في الظهار هو أن يجامعها بعد أن يظاهر منها. و عند "**الشافعي**": هو إمساكها بعد وقوع الظهار عليها مدة يمكنه أن يطلق فيها فلم يفعل»[2]، « و قال بعض المتأخرين: المظاهرة هي يمين نحو أن يقال: امرأتي علي كظهر أمي إن فعلت كذا. فمتى فعل ذلك و حنث يلزمه من الكفارة ما بينه تعالى في هذا المكان. و قوله: (**ثمّ يعودون لما قالوا**) [المجادلة/3]، يحمل على فعل ما حلف له أن لا يفعل، و ذلك كقولك: فلان حلف ثمّ عاد: إذا فعل ما حلف عليه. قال "**الأخفش**" قوله: (**لمّا قالوا**) [المجادلة: آية 3]. متعلق بقوله: (**فتحرير رقبة**) [المجادلة: آية 3]، و هذا يقوي القول الأخير. قال: و لزوم هذه الكفارة إذا حنث كلزوم الكفارة المبينة في الحلف بالله، و الحنث في قوله: (**فكفارته إطعام عشرة مساكين**)[المائدة/89]، و إعادة الشيء كالحديث و غيره تكريره. قال تعالى: (**سنعيدها سيرتها الأولى**) [طه/21]، (**أو يعيدوكم في ملتهم**) [الكهف/ 20]»[3].

و كذلك في قضية الصيد عندما يكون الإنسان محرما, فقد عرف لنا الصيد وذكر لنا المسألة الفقهية المتعلقة بقتل بعض الدواب التي تؤكل « الصيد: مصدر صاد، و هو تناول ما يظفر به ممّا كان ممتنعا، و في الشرع: تناول الحيوانات الممتنعة ما لم يكن مملوكا، و المتناول منه ما كان حلالا، و قد يسمى المصيد صيدا بقوله: (**أحل لكم صيد البحر**) [المائدة/ 96]، أي: اصطياد ما في البحر، و أمّا قوله: (**لا تقتلوا الصيد و أنتم حرم**) [المائدة/ 95]، و قوله: (**وإذا حللتم فاصطادوا**) [المائدة/2]، و قوله: (**غير محلي الصيد وأنتم حرم**) [المائدة/1]، فإنّ الصيد في هذه المواضع مختص بما يؤكل لحمه فيما قال الفقهاء؛ بدلالة ما روي: (خمسة يقتلهن المحرم في الحل و الحرم: الحية و العقرب و الفأرة و الذئب و الكلب العقور)[*4].

---

[1])- المفردات، ص 354.

[2])- المفردات، ص 354.

[3])- المفردات، ص 354.

[*])- (الحديث عن عائشة عن النبي p قال: (خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم. الحية، و الغراب الأبقع، و الفأرة، و الكلب العقور، و الحديا) أنظر: صحيح مسلم 856/2., البخاري 1204/3.

[4])- المفردات، ص 293.

هـذا التأصـيل مـن القـرآن الكـريم و استـشهاده بـرأي "**أبـي حنيفـة النعمـان**" والإمـام "**الشافعي**" يدل على شيئين اثنين:

1 - أنّ "**الراغب**" كانت لـه درايـة بمواضيع الفقه و لـيس علـى المذهب الواحد بل علـى المذهبين والمتأخرين في زمانه.

2 - أنّـه لـم يكـن مقلدا لأي فـرع مـن فـروع المـذاهب الفقهيـة, و إنّمـا كـان مجتهدا, و مـا الشروط اللغوية و الفقهية و الأخلاقية المتوفرة في أعماله، إلاّ دليل على ذلك. فنجده تـارة يأخذ برأي "**الشافعي**" و تارة أخرى برأي الإمام "**مالك**" و ثالثة بقول "**الحنفي**" و هكذا و هذا يـدلنا على شيء هو عدم تقيده بمذهب معين.

الاستشهاد بعلم الكلام والمنطق:

أثناء مطالعتك لكتاب المفردات، ينتابك شعور أنّ هذا الكتـاب لـم يؤلـف بمعـزل عـن علـم الكلام، والفلسفة. و لعلّ المحدثين فطنوا إلى آراء "**الراغب**" المعرفية و الفلسفية فراحوا ينشدون ضالتهم في هذا الكتاب النفيس، فاعتبره باحثوا الفلسفة جزءا من كتبهم و موضـوعاتهم، و لكن لا غرابة في ذلك, فـ"**الراغب**" الذي يشهد لـه الجميع بقدمـه الراسـخة فـي علـم التفسير، قد أوتـي العلم الواسع من جهة، و أوتي ميزة امتاز بها التفكير الإسلامي عموما. و "**الراغب**" خـصوصا و هي فكرة الموسوعية، مما جعلهم لهم الأولوية و الأحقية في الانتقال بين حقل معرفي وآخر. و هذا ما نلحظه في كتاب "**المفردات**" فقد جاء مليئا بالقضايا الفلسفية و التعاريف المنطقية ومن ذلك ما ذكره في تعريفه للجزء حيث يقول: «جزء الشيء: ما يتقوم بـه جملتـه، كـأجزاء السفينة وأجزاء البيت»[(1)]، فهذا التعريف له صلة كبرى في علم المنطق، و من التعاريف التي نظن أنّها من قبيل علمه بعلم الكلام قوله: « الجهل على ثلاثة أضرب:

الأول: و هو خلو النفس من العلم، هذا هو الأصل، و قد جعل ذلك بعض المتكلمين معنـى مقتـضيا للأفعـال الخارجـة عـن النظـام، كمـا جعـل العلـم معنـى مقتـضيا للأفعـال الجاريـة علـى النظام.» [(2)].

فتوظيفـه لكلمـة بعـض المتكلمـين تحيلنـا إلـى أنّ هنـاك جملـة مـن علمـاء الكـلام و أنّ هـذا الرأي لبعضهم فقط و "**الراغب**" قد أدرك قول الجميع و فهم الجميع و هذا الرأي لبعضهم فقط.

[1])- المفردات، ص 99 .
[2] -(

هذا الجانب المعرفي النظري لابد أن يؤكد عليه **"الراغب"** من خلال القرآن الكريم لأنّه يتخذ من العلوم مطية و وسائل يفهم بها كتاب الله تعالى.

فقد استطرد في تعريفه للجهل فقال أما الوجه **الثالث** فيه « فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواءً اعتقد فيه اعتقاداً صحيحا أو فاسدا، كمن يترك الصلاة متعمدا، و على ذلك قوله تعالى: **(قالوا: أتتخذنا هزوا؟ قال: أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين)** [البقرة/67]، فجعل فعل الهزو جهلا، و قال تعالى: (**فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة**) [الحجرات/6]»[1].

ثمّ لا يفوت الفرصة في التذكير باللطائف و النكت الدقيقة التي جاء بها القرآن الكريم، «والجاهل تارة يذكر على سبيل الذم، و هو الأكثر، و تارة لا على سبيل الذم، نحو: (**يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف**) [البقرة / 273]، أي: من لا يعرف حالهم»[2].

و قد أثبت **"الراغب"** أنّه متمكن أمكن في علم المنطق، و أنّه ذو دراية به. يأتي هذا من خلال تفصيله المفيد في لفظة الجهل فقد استعمل تعريفا سادسا كان فحواه: « **السادس:** يستعمله المنطقيون دون غيرهم في معنى الحد، فيقولون: قول الجوهر كذا، و قول العرض كذا، أي: حدهما»[3].

و من المواضيع الفلسفية التي تدل على رسوخ قدمه في هذا العلم تناوله للفظة **البقاء**: «البقاء: ثبات الشيء على حاله الأولى، و هو يضاد الفناء، و قد بقي بقاء، و قيل: بقى[*] في الماضي يضاد الفناء، و قد بقي»[4]، ثمّ يضطر **"الراغب"** إلى إدخال علم الكلام في موضوع عقائدي وهو أسماء الله و صفاته فيستعمل ألفاظ المتكلمين كالنوع و الجزء... فيقول:« و الباقي ضربان: باق بنفسه لا إلى مدة و هو الباري تعالى، و لا يصح عليه الفناء، و باق بغيره و هو ما عداه ويصح عليه الفناء. و الباقي بالله ضربان:

باق بشخصه إلى أن يشاء الله أن يفنيه، كبقاء الأجرام السماوية.

---

1)- السابق، ص 109

2)- نفسه، ص 109.

3)- نفسه، ص 109.

*)- (وهي لغة بلحرث بن كعب)

4)- نفسه، ص 67.

و باق بنوعه و جنسه دون شخصه و جزئه، كالإنسان والحيوان.»[1].

و عندما عرض لتفسير معنى الخلق نجده يلوح بعصا المنطق مباشرة و ذلك باستعماله لمقولات "**أرسطو**" العشر إن لم يمكن لنا حصرها في الكتاب فهذا أحد المواطن التي استعملها فيه. و هي مقوله العرض والجوهر.

«و قوله: (**سبحان الذي خلق الأزواج**) [يس/36]، (**ومن كلّ شيء خلقنا زوجين**) [الذاريات/49]. فتنبيه أنّ الأشياء كلّها مركبة من جوهر و عرض، و مادة و صورة، و أنّ لا شيء يتعرى من تركيب يقتضي كونه مصنوعا، و أنّه لا بد له من صانع تنبيها أنّه تعالى هو الفرد»[2].

إنّ "**الراغب**" لذو أحقية برتبة المفسر عن جدارة و إنّه لحقيق بأن تؤلف حول فكره المعرفي والفلسفي المؤلفات والكتب، ذلك لأنّه مدرك لحقيقة الذات الإنسانية التي فضلها الله على كثير ممن خلق تفضيلا، فقد أسهب في قضية التفضيل البشري بنوع من الفلسفة « **فضل من حيث الجنس،** كفضل جنس الحيوان على جنس النبات. **و فضل من حيث النوع**، كفضل الإنسان على غيره من الحيوان، و على هذا النحو قوله: (**و لقد كرمنا بني آدم**) [الإسراء/70]، إلى قوله: (**تفضيلا**) الآية (**و لقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات، و فضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**)[سورة الإسراء: آية 70]. **وفضل من حيث الذات،** كفضل رجل على آخر. فالأولاد جوهريان لا سبيل للناقص فيهما أن يزيل نقصه و أن يستفيد الفضل، كالفرس و الحمار لا يمكنهما أن يكتسبا الفضيلة التي خص بها الإنسان، و الفضل الثالث قد يكون عرضيا فيوجد السبيل على اكتسابه، و من هذا النوع التفضيل المذكور في قوله: (**و الله فضل بعضكم على بعض في الرزق**) [النحل/71]، (**لتبتغوا فضلا من ربكم**) [الإسراء/12]، يعني: المال و ما يكتسب، و قوله: (**الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض**) [النساء/34]، فإنّه يعني بما خص به الرجل من الفضيلة الذاتية له، والفضل الذي أعطيه من المكنة و المال و الجاه والقوة، و قال: (**و لقد فضلنا بعض النبيين على بعض**) [الإسراء/ 55]، (**فضل الله المجاهدين على القاعدين**) [النساء/95]، و كلّ عطية لا تلزم من يعطي يقال لها: فضل. نحو قوله: (**و اسألوا الله من فضله**) [النساء/ 32]، (**ذلك**

---

[1])- نفسه، ص 67.
[2])- السابق، ص 221.

فضل الله) [المائدة/54]، (**ذو الفضل العظيم)** [آل عمران/74]، و على هذا قولـه: (**قل بفضل الله)** [يونس/58]، (**و لولا فضل الله)** [النساء/83]»[1].

بعد تحصيل هذه النصوص و التمعن في دقائقها يمكن أن نحكم على **"الراغب"** بأنّه نحرير في الفلسفة الإسلامية بكلّ ما تتطلبه من إجراءات فهو يحاول أن يبني تخريجاته بناء منطقيا محكما هذه التعريفات التي غالبا ما يستند فيها على النص القرآني، و ذلك للبرهنة على معاني الآيات المختلفة بالاعتماد على العلوم الوسائل لإدراك حقيقة و كنه النص القرآني.

---

[1])- المفردات، ص 383.

المبحث الثالث:
منهج "الراغب" في بعض الظواهر اللّغوية

المبحث الثالث: منهج "الراغب" في بعض الظواهر اللّغوية.

"الراغب" و علم اللغة المقارن:

من مباحث علم اللغة الحديث أو بالأحرى من أهم علومه نجد علمين قائمين بذاتهما هما علم اللغة التقابلي, و علم اللغة المقارن, و الفرق بينهما حسب المنظور الغربي هو أنّ الأول يعطي درسا مقارنا بين لغتين متباعدتين في الأصل اللغوي, أمّا الثاني يدرس لغتين مشتركتين في الأصل. و الحقيقة أن العلماء العرب لم يعطوا لنا دراسات مقارنة بالشكل الذي تفرعت عنه اليوم إلى حد وجود الصوتيات المقارنة و النحو المقارن و غيرها. إلاّ أنّهم كانوا على اطلاع واسع باللغات الأخرى كالرومية و الفارسية و العبرية أو على الأقل تلك اللغات التي كانت تحيط بالعربية شرقا وغربا. ممّا جعلهم قادرين على حل بعض الإشكالات المتعلقة بوجود الأعجمي في القرآن الكريم من عدمه.

و لعلّ **"الراغب"** أحد هؤلاء العلماء الذين امتازوا بمعرفتهم للغة الفارسية، و جعلها أداة يستند عليها في تفسير بعض الآيات التي تضمنت هذه الألفاظ و سأبين رأيا في وجود الأعجمي في القرآن من عدمه في آخر هذا الإشكال.

قال تعالى: (**يوم يخرجون من الأجداث سراعا**) [المعارج/43]، جمع الجدث، يقال: جدث وجدف[1].

الفوم: الحنطة، و قيل: هي الثوم، يقال: ثوم و فوم، كقولهم: جدث وجدف. قال تعالى:(**و فومها و عدسها**) [البقرة/61][2].

هذا الإدراك للغات الأخرى يساعد المفسر على تمييز الأعجمي من العربي في القرآن الكريم و الحقيقة أنّ القول بوجود الأعجمي في القرآن الكريم من عدمه، هو مسألة منهج لا غير لأن قال قائل أنّ هذه الكلمة فارسية أو عبرية، أو فلتكن ما تكون. فإنّما هو يطبق منهجا تارخيا كونه نظر إلى أصلها الأول.

---

[1])- المفردات، ص96.

[2])- نفسه، ص 96

و الذي يقول أنّها عربية و أن لا وجود للأعجمي في القرآن الكريم هو محق أيضا ذلك أنّه طبق المنهج الآني و وصف حال اللفظة أثناء الاستعمال، فكلا الرأيين على صواب وإنّما الاختلاف حصل باختلاف المنهج المتبع.

التعريف بالنقيض:

من المناهج المتبعة حديثا في صناعة المعاجم, نجد أنّ بعض التعاريف لا تفهم ما لم يقم المؤلف بإعطاء النقيض على رأي القائل « **و بضدها تتمايز الأشياء**»، و لعلّ العرب برعوا في هذا وكانوا يضطرون أحيانا لإعطاء النقيض في المداخل المعجمية, و من المتبعين لهذا المنهج في صناعة المعجم نجد **"الراغب الأصفهاني"** الذي كثيرا ما كان يعطي النقيض في تعريفه بدون الرجوع إلى المدونة العربية المتمثلة في الشعر و كلام العرب و القرآن وغيرها. و السبب في ذلك على ما أعتقد قرب المفهوم المناقض لدى عامة النّاس. و مثال ذلك قوله في مادة **رسل:** «والإرسال يقابل الإمساك. قال تعالى: (**ما يفتح الله للنّاس من رحمة فلا ممسك لها و ما يمسك فلا مرسل له من بعده**) [فاطر/2]»[1].

و أيضا قوله في مادة **عسر:** « العسر: نقيض اليسر. قال تعالى: (**فإنّ مع العسر يسرا، إنّ مع العسر يسرا**) [الشرح/5 - 6][2].

وأيضا قوله في مادة **يسر**: « اليسر: ضد العسر. قال تعالى: (**يريد الله بكم اليسر و لا يريد بكم العسر**) [البقرة/185]، (**سيجعل الله بعد عسر يسرا**) [الطلاق/7]»[3].

و منه أيضا قوله: « **الإسرار**: خلاف الإعلان، قال تعالى: (**سرا وعلانية**) [إبراهيم/ 31]، وقال تعالى: (**و يعلم ما تسرون وما تعلنون**) [التغابن/4]، و قال تعالى: (**و أسروا قولكم أو اجهروا به**) [الملك/13]»[4].

إذن الملاحظ لجميع هذه المواد اللغوية يرى قرب المفهوم المناقض للمادة اللغوية المفسرة لدى النّاس, بل إنّهم أحينا يستعملون هذه الكلمات أحيانا الأمر الذي قد يكون سببا وجيها في اعتماد اللغويين عليه.

---

[1] السابق، ص 202.
[2])- نفسه، ص 337.
[3])- نفسه، ص 553
[4])- نفسه، ص 234.

منهجه في الوجوه و النظائر:

عندما نتصفح كتاب "**المفردات**" على اعتباره كتابا مشتملا على تفسير المبهم في القرآن الكريم فإنّنا نلاحظ وجود أحد أهم الموضوعات التي طرقها علماؤنا الأجلاء من بعده مثل "**السيوطي**" "**الزركشي**" هذا الموضوع هو موضوع الوجوه والفروق. و هو أنّ الوجوه للفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ و قد قيل إنّ النظائر في اللفظ، و الوجوه في المعاني[1]، وهو أنّ اللفظة القرآنية تبقى هي هي و لكن معناها يتغير بتغير السياق.

و الحقيقة أنّ "**الراغب**" لم يذكرها بمعناها الاصطلاحي و إنّما تكلم عنها في تفسير بعض الكلمات التي يذكر لها أصحاب هذا الفن وجوها كثيرة في تفسيرها و من بين هذه الكلمات: الأم فهو يقول: «الأم بإزاء الأب، و هي الوالدة القريبة التي ولدته، و البعيدة التي ولدت من ولدته.

و لهذا قيل لحواء: هي أمنا، و إن كان بيننا وبينها وسائط. و يقال لكلّ ما كان أصلا لوجود شيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أم»[2].

و "**الراغب**" عندما يذكر هذا الرأي فهو لا ينطلق من فراغ، بل نجده يؤسس لرأيه، ويعتمد على تعريف أحد اللغويين، حيث يقول: « قال "**الخليل**": كلّ شيء ضم إليه سائر ما يليه يسمى أمّاً»[3]، ثمّ يشرع للبرهنة على هذا الوجه من التفسير. و أول أدلته فهم القرآن من القرآن وبالقرآن قال تعالى: (**و إنّه في أم الكتاب**) [الزخرف/4] أي: اللوح المحفوظ و ذلك لكون العلوم كلّها منسوبة إليه ومتولدة منه. و قيل لمكة أم القرى، و ذلك لما روي: (أنّ الدنيا دحيت من تحتها)[*].

---

[1])- أفرد السيوطي فيه تأليفا سماه: "معترك الأقران في مشترك الأقران" و قد صنف فيه مقاتل بن سليمان و ابن الجوزي و ابن الداماغاني أنظر: السيوطي، الإتقان 121/2.البرهان، للزركشي 102/1.

[2])- المفردات ص33.

[*])- (وهذا مروي عن قتادة كما أخرجه عنه عبد الرزاق في المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (126هـ/211هـ) دار النشر: المكتب الإسلامي، بيروت، 1403هـ، ط 2، تـ: حبيب الرحمان الأعظمي. و النص بتمامه: (عبد الرزاق عن معمر قال: أخبرني من سمع أبا الطفيل يقول: البيت وزان عرش الله، لو وقع البيت المعمور، وقع عليه و هو سلطة الأرض و منه دحيت) تحت رقم 8873. 28/5

و قال تعالى: (**لتنذر أم القرى ومن حولها**) [الأنعام/92]، و أم النجوم: المجرة[1]. ثمّ إنّه لا يدع الاستشهاد بالشعر فهو يستشهد في ذلك بشعر الطبقة الجاهلية المتمثلة في قول الشاعر: **بحيث اهتديت أم النجوم الشوابك**[2]

و قيل: أم الأضياف و أم المساكين [*] (كقولهم: أبو الأضياف)[*]

و قيل لفاتحة الكتاب: أم الكتاب لكونها مبدأ الكتاب، و قوله تعالى: (**فأمه هاوية**) [القارعة/9] أي: مثواه النار فجعلها أما له، قال: وهو نحو (**مأواكم النار**) [الحديد/15]، وسمى الله تعالى أزواج النبي ρ أمهات المؤمنين فقال: (**و أزواجه أمهاتهم**) [الأحزاب/6] لما تقدم في الأب، وقال: (**يا ابن أم**) [طه/94]، و لم يقل: ابن أب، و لا أم له يقال على سبيل الذم، و على سبيل لمدح»[3]، و بعد أن يتكلم "**الراغب**" عن الأصل اللغوي و كيفية جمعه يرجع إلى موضوع الوجوه و النظائر أو المعاني المترشحة عن هذه اللفظة في القرآن الكريم فمن معاني هذه اللفظة أن **الأمة**: « كلّ جماعة يجمعهم أمر ما إمّا دين واحد، أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان ذلك الأمر الجامع تسخيرا أو اختيارا، وجمعها: أمم»[4]، و دليله على هذا التعريف، قوله تعالى: (**و ما من دابة في الأرض و لا طائر يطير بجناحيه إلاّ أمم أمثالكم**) [الأنعام/38] أي: كلّ نوع منها على طريقة قد سخرها الله عليها بالطبع، فهي من بين ناسجة كالعنكبوت، وبانية كالسرفة[*]، و مدخرة كالنمل و معتمدة على قوت وقته كالعصفور و الحمام، إلى غير ذلك من الطبائع التي تخصص بها كلّ نوع.

و قوله تعالى: (**كان النّاس أمة واحدة**) [البقرة/213] أي: صنفا واحدا و على طريقة واحدة في الضلال و الكفر، و قوله: (**و لو شاء ربك لجعل النّاس أمة واحدة**)[هود/118] أي: في الإيمان، و قوله: (**و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير**) [آل عمران/104] أي:جماعة

---

[1])- (راجع: الجمهرة 20/1؛ و اللسان (أمم) 32/12)

[2])- (هذا عجز بيت لتأبط شرا، و صدره: يرى الوحشة الأنس الأنيس ويهتدي.

[*])- و أم المساكين كنية زينب بنت خزيمة أم المؤمنين رضي الله عنها، سميت بذلك لكثرة معروفها. راجع سير أعلام النبلاء (محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي أبو عبد الله (673هـ/748هـ) مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 9، 1413هـ، تـ: شعيب الأرناؤوط ، محمد نعيم العرقسوسي 217/2)

[*])- أبو الأضياف هو إبراهيم الخليل υ، فهو أول من أضاف الضيف.

[3])-

[4])- المفردات، ص 33..

[*])- (هي دويبة غبراء تبني بيتا حسنا تكون فيه، و هي التي يضرب بها المثل فيقال: أصنع من سرفة)

يتخيرون العلم و العمل الصالح يكونون أسوة لغيرهم، و قوله: (**إنّا وجدنا آباءنا على أمة**) [الزخرف/22] أي: على دين مجتمع. قال: **وهل يأثمن ذو أمة و هو طائع**(1)

و من المعاني المترشحة عن هذه اللفظة الوقت أو الزمان. فنجد "**الراغب**" يقول:

«و قوله تعالى: (**و ادّكر بعد أمة**) [يوسف/45] أي: حين، أي: بعد نسيان. و حقيقة ذلك: بعد انقضاء أهل عصر أو أهل دين». و من المعاني التي يذكرها "الراغب" لمعنى كلمة **الأمة** أنّها تكون بمعنى الفرد الذي يقوم مقام الجماعة بدليل قوله تعالى: (**إنّ إبراهيم كان أمة قانتا لله**) [النحل/120]، قال "**الراغب**": « أي: قائما مقام جماعة في عبادة الله، نحو قولهم: فلان في نفسه قبيلة»(2).

و قوله تعالى: (**ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة**) [آل عمران/113] أي: جماعة، وجعلها "**الزّجاج**" ههنا للاستقامة، و قال: تقديره: ذو طريقة واحدة(3)، فترك الإضمار أولى(4).

الآن و بعد أن تتبعنا منهج "**الراغب الأصفهاني**" في فهمه الدقيق لنص القرآني أدركنا أنّه قد وعى جيد لقضية الوجوه و الفروق التي عرفت من بعد في كتب علوم القرآن و أمكننا الجزم أنّه تمكن من تطبيق منهج راق و إن لم يعرف الاصطلاح العلمي، و ذلك لطبيعة عهده المتقدم و كأنّي به يريد أن يقول: لا تعزلوا النّص القرآني عن بعضه البعض، لا يتكلم في القرآن من ليس عالما باللغة و أخيرا عليكم بالموسوعية حتى تتكلموا في القرآن.

الراغب و الترادف:

لقد تناولنا من قبل في الفصل الأول أحد أهم مشكلات الدرس الدلالي و هي قضية الترادف من ناحية وجوده أو عدمه. و أسهبنا كثيرا حول انقسام المحدثين و القدماء في معالجتهم لهذه الظاهرة اللغوية. و ما دام البحث يتعلق بأحد أهم المفسرين اللغويين كان لزاما علينا أن نتعرض لرأيه في ظاهرة الترادف و هل هو من مؤيديه أم من منكريه ؟ و ما حجته في ذلك؟

---

[1])- (هذا عجز بيت للنابغة الذبياني، و صدره:حلفت فلم أترك لنفسك ريبة و هو في اللسان أمم.

[2])- المفردات، ص 33.

[3])-

[4])- المفردات، ص 33

إنّ "**الراغب**" لا يعطى لنا رأيا إلاّ و أعطانا الدليل المباشر على ذلك و الملاحظ لكتاب "**المفردات**" يرى أنّ المنهج المتبع في هذه الظاهرة هو نفس النهج الذي يقدمه صاحب(*) "**فقه اللغة العربية**" فكليهما يعطيان الفرق الدقيق بين المفردات التي يتخيل القارئ أنّها من قبيل المترادفات.

و ممّا ذكره "**الراغب**" تفريقا بين المعاني: المقعد ≠ المقام معتمدا على فهمه اللغوي ومصوبا لرأي "**الأخفش**" في المفهوم اللغوي. « قال "**الأخفش**": في قوله: (**قبل أن تقوم من مقامك**) [النمل/39]: إنّ المقام المقعد، فهذا إن أراد أنّ المقام و المقعد بالذات شيء واحد، وإنّما يختلفان بنسبته إلى الفاعل كالصعود و الخدور فصحيح، و إن أراد أنّ معنى المقام معنى المقعد فذلك بعيد؛ فإنّه يسمى المكان الواحد مرة مقاما إذا اعتبر بقيامه، و مقعدا إذا اعتبر بقعوده»(1)، فهو بذلك يوضح لنا قاعدة مهمة في تفسير الظواهر اللغوية و هي **أنّ المعنى قد يتأثر بالمكان فينتقل المدلول اللغوي من معنى إلى معنى آخر لوجود علاقة المجاورة.**

و يزيد الأمر توضيحا في إعطائه لبعض الفروق الموجودة بين الألفاظ اللغوية, و حجته في ذلك كلّه ما أنزله ربُّ العزة جل شأنه في الفرق بين: **الفرق ≠ الفلق** حيث يقول: «الفرق يقارب الفلق لكن الفلق يقال اعتبارا بالانشقاق، و الفرق يقال اعتبارا بالانفصال. قال تعالى: (**وإذ فرقنا بكم البحر**) (*)[البقرة/50]، و الفرق: القطعة المنفصلة»(2). فهو يوظف كلمتين مستعملتين في القرآن الكريم مع إعطاء الفرق الدقيق بينهما, هذه الدقة في الفروق تثبت لنا قطعا على أنّه من لدن حكيم خبير.

منهجه في ظاهرة الأضداد:

و من الأمور التي يجب أن نعرج عليها، و ذلك لأنّها من أهم إشكاليات الدرس الدلالي ظاهرة الأضداد؛ و هي أنّ الرمز اللغوي يتحمل معنيين متضادين معا. و لقد أفرد العلماء له كتبا لحصر هذه الظاهرة اللغوية ككتاب الأضداد لـ"**ابن الأنباري**" و منهج "**الراغب**" كمتتبعين للدرس اللغوي لم يصل إليه أحد. بل إنّنا نجزم أنّ رأي "**الراغب**" في هذه الظاهرة هو رأي انفرد به لوحده و لم يقل به أحد من قبله و لا من بعده فهو يقف موقفا وسطا في معالجته

---

* صاحبه هو أبو منصور الثعالبي

[1] المفردات، ص 416.

* لا تناقض بين ماقاه الراغب وبين قوله تعالى: (**فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم**)[]، إذ الآية القرآنية تتحدث عن مفهوم زماني لأنّ البحر انشق في بداية الأمر. ثمّ أتبع هذا الانشقاق انفصال حتى صارت الفرقتان كلّ واحدة منهما كالجبل

[2] نفسه، ص 379.

ولتوضيح الأمر نأخذ كلمة عسعس الواردة في قوله تعالى: (**و الليل إذا عسعس**) [التكوير/17].

فالمفسرون لما يأتون لهذه الكلمة يقولون عليها أقبل و أدبر. كيف ذلك ؟ ذلك أنّ الكلمة تتحمل المعنيين معا فيجوز معنى أقبل فتكون و الليل إذا أقبل. و يجوز أن تكون أدبر فتكون الآية و الليل إذا أدبر. فلا يجوز بأي حال من الأحوال ترجيح كفة على الأخرى، لكن "**الراغب**" يقف من القضية موقف المتأمل و يحاول الجمع بين النقيضين فكيف نجمع بين الشرق و الغرب ؟ بين القضية وضدها؟.

إنّ "**الراغب**" يجيبنا أنّ ذلك كائن في « مبدأ الليل ومنتهاه»(1). و يورد الراغب كعادته أدلة لغوية على ذلك فمن الأدلة، فالعسعسة و العساس: رقة الظلام، و ذلك في طرفي الليل، والعس و العسس: نفض الليل عن أهل الريبة. و رجل عاس و عساس، و الجميع العسس. وقيل: كلب عس خير من أسد ربض(*) أي: طلب الصيد بالليل، و العسوس من النساء: المتعاطية للريبة بالليل. و العس: القدح الضخم، و الجمع عساس(2).

فالملاحظ لرأي "**الراغب**" يرى و كأنّه يريد أن يجد مخرجا للمسألة و ذلك بالجمع بين المتناقضين فهو يحاول أن ينزل الرمز اللغوي منزلة بين منزلتين يجمع فيها بين الإقبال والإدبار و الفكرة التي انفرد بها "**الراغب**" تبدوا مقبولة فرقة الظلام تأتي بعد مغيب الشفق فهو في هذه الحالة إقبال. ورقة الظلام تأتي بعد العتمة مع مجيء النور فنلاحظ تلك الرقة المتأتية عن إدبار الليل.

و"**الراغب**" صاحب هذا المنهج في الأضداد حاولنا أن نستقرئ له بعض ألفاظ الأضداد التي أجمع عليها أهل اللغة و ذلك في الفصل الثالث.

إنّ هذا المبحث من علم الدلالة عند هذا العالم لهو مبحث جدير بالدراسة و التأمل و يجب تسليط الضوء عليه. فقد أفادنا بمنهج راق امتاز به علماؤنا الأوائل يستطيع فيه الدارس أن ينتقل من السياق إلى التضام إلى الاستشهاد بالقرآن. هذا المنهج الذي يبدو و كأنّه منهج تكاملي في عمومه و منهج متميز في نظرته إلى الأضداد خصوصا.

---

[1])- المفردات، ص 337.

[*])- (في اللسان: و في المثل في الحث على الكسب: كلب اعتس خير من كلب ربض. انظر: مادة (عس)

[2])- المفردات، ص 337.

التضام:

إنّ دراستنا لعلم الدلالة الحديث مكنتنا من معرفة قضية مهمة في ترشح المعاني و هي قضية التضام. ذلك أنّ أي لفظة يتحدد معناها من خلال السوابق و اللواحق مثلما هو الحال بخصوص حروف الجر أو الإضافة.

إنّي إذ أقول هذا فإنّني لا أفتخر بعلم الدلالة الحديث، بل لنا الفخر نحن العرب أن نقول أنّ هذا الموضوع عرف عندنا في تراثنا الإسلامي الزاخر، و إن لم يعرفه بعض علمائنا كاصطلاح فقد عرفوه كتطبيق، و ذلك أيام كانت الأمة تجيد القول و الفعل معا. و **"الراغب"** أحد هؤلاء العلماء الذين فطنوا إلى أن الكلمة يتحدد معناها من خلال سابقة أو لاحقة و من الأمثلة التي يذكرها **"الراغب الأصفهاني"** حول قضية التضام كلمة **رغب** التي قد تحتمل معنيين متناقضين بمجرد اقترانها بحرف إضافة يختلف عن الآخر.

« فإذا قيل: رغب فيه و إليه يقتضي الحرص عليه، قال تعالى: (**إنّا إلى الله راغبون**) [التوبة/59]، و إذ قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه و الزهد فيه، نحو قوله تعالى: (**و من يرغب عن ملة إبراهيم**) [البقرة/130]، (**أراغب أنت عن آلهتي**)[مريم/46]»[(1)].

فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله، و قبضها عن الشيء جمعها قبل تناوله، و ذلك إمساك عنه، و منه قيل لإمساك اليد عن البذل[(2)].

و **الرابع**: بالعقل، و على ذلك قوله: (**ما كذب الفؤاد ما رأى**)[النجم/11]، و على ذلك حمل قوله: (**و لقد رآه نزلة أخرى**) [النجم/13].

و رأى إذا عدي إلى مفعولين اقتضى معنى العلم، نحو: (**و يرى الذين أوتوا العلم**) [سبأ/6]، وقال: (**إن ترن أنا أقل منك**) [الكهف/39]، و يجري (أرأيت) مجرى أخبرني، فيدخل عليه الكاف، و يترك التاء على حالته في التثنية، و الجمع، و التأنيث، و يسلط التغيير على الكاف دون التاء، قال: (**أرأيتك هذا الذي**) [الإسراء/62]، (**قل أرأيتكم**) [الأنعام/40]، و قوله: (**أرأيت الذي ينهى**) [العلق/9]، (**قل أرأيتم ما تدعون**) [الأحقاف/4]، (**قل أرأيتم إن**

---

[1])- المفردات، ص 204.
[2])- نفسه، ص 392.

جعل الله) [القصص/71]، (**قل أرأيتم إن كان)** [الأحقاف/10]، (**أرأيت إذ أوينا)** [الكهف/63]، كلّ ذلك فيه معنى التنبيه(1).

ويقال: نظرت إلى كذا: إذا مددت طرفك إليه رأيته أو لم تره، و نظرت فيه: إذا رأيته وتدبرته، قال: (**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت)** [الغاشية/17] نظرت في كذا: تأملته. قال تعالى: (**فنظر نظرة في النجوم، فقال إنّي سقيم)** [الصافات/88 - 89]، و قوله تعالى: (**أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض)** [الأعراف/185]، فذلك حيث على تأمل حكمته في خلقها(2)، فالنظر ذا أضيف إلى (إلى)اقتضى معنى التأمل.

علاقة العموم و الخصوص:

لعلّه من أهم العلاقات في علم الدلالة، علاقة الاشتمال أو التضمن و علاقة التضاد، وعلاقة الجزء و الكلّ و علاقة العموم و الخصوص؛ هذه العلاقات التي تمكن الرمز اللغوي من الدلالة على شيء و عدم دلالته على الشيء الآخر(3). و العرب في دراساتهم اللغوية بينوا ذلك جيدا كون اللفظ يستعمل حينا و لا يستعمل حينا آخر و ألفوا في ذلك كتبا تبدوا علاقة العموم والخصوص واضحة فيها و من أجل هذه الكتب اللغوية و أجودها كتاب "**الفروق في اللغة**" لـ"**أبي هلال العسكري**" و كتاب "**فقه اللغة العربية**" لـ"**أبي منصور الثعالبي**"؛ هذا الأخير كان غالبا ما يحدد الفرق بين كلمة و أخرى إلاّ و يذكر الدليل القرآني. و "**الراغب**" لم يكن بدعا من هؤلاء العلماء، فقد أتبع منهجهم في هذه الدراسة القرآنية الفريدة من نوعها. فلنحاول الآن التماس بعض مواطن العموم و الخصوص بين ألفاظ القرآن الكريم حسب ما ذكرها "**الراغب**" و من ذلك تفريقه بين اللب و العقل.

فاللب: «العقل الخالص من الشوائب، و سمي بذلك لكونه خالص ما في الإنسان من معانيه، كاللباب و اللب من الشيء، و قيل: هو ما زكى من العقل»(4).

من خلال هذا التحديد العلمي الدقيق لكلمة: اللب وصل "**الراغب**" إلى علاقة العموم والخصوص التالية: « فكلّ لب عقل و ليس كلّ عقل لبا»(5).

---

(1)- السابق، ص 190/189.
(2)- نفسه، ص 499.
(3)- أنظر: علم الدلالة أحمد مختار عمر، ص 98. 99.- 100- 102.
(4)- المفردات، ص 499.
(5)- السابق ص 499.

ثمّ إنّ "**الراغب**" لا يترك هذه العلاقة بدون برهنة، فدليله على ذلك قول الباري سبحانه: **(ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا)** إلى قوله: (**أولوا الألباب)** [البقرة/269]، و لهذا علق الله تعالى الأحكام التي لا يدركها إلاّ العقول الزكية بأولي الألباب.

و من ذلك علاقة العموم و الخصوص بين كلمتي المعرفة و العلم. فالمعرفة و العرفان: « إدراك الشيء بتفكر و تدبر لأثره، و هو أخص من العلم، و يضاده الإنكار»[1]، و من ذلك قول النّاس: « فلان يعرف الله و لا يقال: يعلم الله متعديا إلى مفعول واحد، لما كان معرفة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، و يقال: الله يعلم كذا، و لا يقال: يعرف كذا، لما كانت المعرفة تستعمل في العلم القاصر المتوصل به بتفكر».

قال تعالى: (**فلما جاءهم ما عرفوا)** [البقرة/89]، (**فعرفهم وهم له منكرون)** [يوسف/58]، **فلعرفتهم بسيماهم** [محمد/30]، (**يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)** [البقرة/146][2]. و كلامه كثير عن علاقة العموم و الخصوص، فقد صرح في الكثير من مواطن كتابه بلفظتي العموم والخصوص.

---

[1])- نفسه، ص 343.

[2])- نفسه، ص 343.

الفصل الثالث:

نماذج تطبيقية من كتاب "

الفصل الثالث: نماذج تطبيقية من كتاب "المفردات"

الوجوه و النظائر عند "الراغب":

من الكلمات التي رصدناها ضمن موضوع الوجوه و النظائر كلمة:

اللقاء:

و التي معناها: « مقابلة الشيء و مصادفته معا، و قد يعبر به عن كلّ واحد منهما، يقال: لقيه يلقاه لقاء ولقيا و لقية، و يقال ذلك في الإدراك بالحس، و بالبصر، وبالبصيرة. قال: (**لقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه**) [آل عمران/143]، و قال: (**لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا**) [الكهف/62]»[1].

و بعد هذا التعريف الدقيق لكلمة لقاء يحيلنا "**الراغب**" إلى التدبر في المعاني التي يمكن أن تحمل عليها هذه الكلمة في الاستعمال القرآني

فـ: **اللقاء + لفظ الجلالة الله = يذهب بنا إلى مفهوم يوم القيامة والمصير**

و ملاقاة الله عبارة عن القيامة، و عن المصير إليه. قال تعالى: (**واعلموا أنّكم ملاقوه**) [البقرة/223]، و (**قال الذين يظنون أنّهم ملاقوا الله**) [البقرة/249]، و اللقاء: الملاقاة. قال: (**و قال الذين لا يرجون لقاءنا**) [يونس/15]، (**إلى ربك كدحا فملاقيه**) [الانشقاق/6]، (**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا**) [السجدة/14] أي: نسيتم القيامة و البعث والنشور.

و قوله: (**يوم التلاق**) [غافر/15] أي: يوم القيامة، و يعطي لنا "**الراغب**" سبب تسميته و اختصاصه بها كونه يوما لالتقاء من تقدم ومن تأخر، و التقاء أهل السماء و الأرض، و ملاقاة كلّ أحد بعمله الذي قدمه[2].

إلاّ أنّ الظاهر أنّ اللفظة في عموم سياقاتها تصب في فلك واحد و هو الملاقاة بين طرفين على الرغم من تحمل بعض الآيات لهذه التوجيهات التي ذكرها "**الراغب**".

---

[1])- المفردات، للراغب ص 457

[2])- نفسه، ص457.

و من الكلمات التي ذكر أنّها تأتي لمعان مختلفة كلمة الصاعقة حيث أنّ:

« الصاعقة و الصاقعة يتقاربان، و هما الهدة الكبيرة، إلاّ أنّ الصقع يقال في الأجسام الأرضية، والصعق في الأجسام العلوية. قال بعض أهل اللغة: الصاعقة على ثلاثة أوجه:

- 1 – **الموت**: كقوله: (**فصعق من في السموات ومن في الأرض**) [الزمر /68]، وقوله: (**فأخذتهم الصاعقة**) [النساء/153].

- 2 – **والعذاب**: كقوله: (**أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود**) [فصلت /13].

- 3 – **والنار**: كقوله: (**و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء**) [الرعد/13][1]، «و ما ذكره فهو أشياء حاصلة من الصاعقة؛ فإنّ الصاعقة هي الصوت الشديد من الجو، ثمّ يكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت، و هي في ذاتها شيء واحد، و هذه الأشياء تأثيرات منها»[2].

"الراغب" و علم اللغة المقارن:

لقد وردت في القرآن الكريم كلمات عديدة وفدت على اللغة العربية من لغات أخرى كان أهمها الفارسية و الحبشية و قد ذكرنا ذلك و من المواقع التي يظهر فيها لتأصيل لهذه الكلمات قوله:

جهنم: اسم لنار الله الموقدة، قيل: و أصلها فارسي معرب جهنام و الله أعلم[3].

السجيل: حجر وطين مختلط، و أصله فيما قيل: فارسي معرب، و السجل: قيل حجر كان يكتب فيه، ثمّ سمي كلّ ما يكتب فيه سجلا[4]. حدثنا "**ابن حميد**" قال حدثنا "**يعقوب**" عن "**جعفر**" عن "**سعيد بن جبير**" حجارة من سجيل قال فارسية أعربت سنك و كلّ. حدثنا "**بشر**"

---

[1])- و الصواعق جمع صاعقة قال أبن عباس τ وجاهد وغيرها إذا اشتد غضب الرعد الذي هو الملك طار النار من فيه و هي الصواعق وكذلك قال الخليل قال هي الواقعة الشديدة الرعد يكون معها أحيانا قطعة نار تحرق ما أتت عليه وقال أبو زيد الصاعقة نار تسقط من السماء في رعد شديد و حكى الخليل عن قوم الساعقة بالسين و قال أبو بكر النقاش يقال صاعقة و صعقة و صاعقة بمعنى واحد و قرأ الحسن من الصواعق بتقديم القاف و منه قول أبي النجم يحكون بالمصقولة القواطع ثمّ تشقق البرق عن الصواقع قال النحاس و هي لغة تميم و بعض بني ربيعة و يقال صعقتهم السماء إذا ألقت عليهم الصاعقة و الصاعقة أيضا صيحة العذاب قال الله Y (**فأخذتهم صاعقة العذاب الهون**) و يقال صعق الرجل صعقة و تصعاقا أي غشي عليه و منه قوله تعالى: (**وخر موسى صعقا**) فأصعقه غيره قال أبن مقبل ترى النعرات الزرق تحت لبانه ثم أحاد ومثنى أصعقتها صواهله. قوله تعالى: (**فصعق من في السموات و الأرض**) أي ما تفسير القرطبي 219/1.

[2])- المفردات، ص 284.

[3])- نفسه، ص 109.

[4])- المفردات، ص230.

قال حدثنا "**يزيد**" قال حدثنا "**سعيد**" عن "**قتادة**" السجيل الطين. حدثنا "**محمد بن عبد الأعلى**" قال حدثنا "**محمد بن ثور**" عن "**معمر**" عن "**قتادة**" و"**عكرمة**" من سجيل قالا من طين. حدثنا "**المثنى**" قال حدثنا "**إسحاق**" قال حدثنا "**إسماعيل بن عبد الكريم**" قال حدثني "**عبد الصمد**" عن "**وهب**" قال: سجيل بالفارسية سنك و كلّ. حدثني "**موسى بن هارون**" قال: حدثنا "**عمرو**" قال حدثنا "**أسباط** عن السدي" حجارة من سجيل أمّا السجيل فقال: "**ابن عباس**" هو بالفارسية سنك و جل سنك هو الحجر و جل هو الطين يقول أرسلنا عليهم حجارة من طين[1].

السرادق: فارسي معرب، و ليس في كلامهم اسم مفرد ثالثه ألف وبعده حرفان[2].

السور: و ثوب مع علو، و يستعمل في الغضب، و في الشراب، يقال: سورة الغضب، و سورة الشراب، و سرت إليك، و ساورني فلان، و فلان سوار: و ثاب. و الإسوار من أساورة الفرس أكثر ما يستعمل في الرماة، و يقال: هو فارسي معرب. و سوار المرأة معرب، و أصله دستورا[3]. إذن فالفهم حاصل للغات الأخرى, و يبدوا ذلك من خلال ذكره للفارسي المعرب.

علاقة العموم و الخصوص:

علاقة العموم و الخصوص بين الأرب و الحاجة:

لقد فرق "**الراغب**" بين كلمتين ورتدا في القرآن الكريم و بين أن استعمال كلّ واحدة منهما دقيق, و أنّ مفهوم الأولى ليس هو مفهوم الثانية.

الأرب: فرط الحاجة المقتضي للاحتيال في دفعه، فكلّ أرب حاجة، و ليس كلّ حاجة أربا، ثمّ يستعمل تارة في الحاجة المفردة، و تارة في الاحتيال و إن لم يكن حاجة، كقولهم: فلان ذو أرب، و أريب، أي: ذو احتيال، و قد أرب إلى كذا، أي: احتاج إليه حاجة شديدة[4]، و قد أرب إلى كذا أربا و أربة وإربة و مأربة، قال تعالى: (**ولي فيها مآرب أخرى**) [طه/18]، و لا

---

1)- تفسير الطبري، 94/12.
2)- المفردات، ص236، و انظر: فتح الباري، 253/8
3)- المفردات، ص 254
4)- اللسان، (أرب) 208/1.

أرب لي في كذا، أي: ليس بي شدة حاجة إليه، و قوله: (**أولي الإربة من الرجال)** [النور/31]، كناية عن الحاجة إلى النكاح، و هي الأربى[1].

الحاجة إلى الشيء: الفقر إليه مع محبته، و جمعها: حاج و حاجات و حوائج، و حاج يحوج: احتاج، قال تعالى: (**إلاّ حاجة في نفس يعقوب قضاها)** [يوسف/68]، و قال: **(حاجة ممّا أوتوا)** [الحشر/9][2].إذن:

الأرب: فرط الحاجة المقتضي للاحتيال و **الحاجة إلى الشيء: الفقر إليه مع محبته** فكلّ أرب حاجة، و ليس كلّ حاجة أربا.

تفريقه بين **الحائط** و **الجدار** و الجسم و الجسد هذه الأخيرة التي لا تستعمل إلاّ لغير الإنسان.

فقد ذكر أنّ « الجسد كالجسم لكنه أخص، قال "**الخليل**" رحمه الله: لا يقال الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه، و أيضا فإنّ الجسد ما له لون، و الجسم يقال لما لا يبين له لون، كالماء و الهواء»[3].

و قوله تعالى : (**و ما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام)** [الأنبياء/8]، يشهد لما قال "**الخليل**"، و قال: (**عجلا جسدا له خوار)** [طه/88]، و قال تعالى: (**و ألقينا على كرسيه جسدا ثمّ أناب)** [ص/34][4].

فبين الجسم و الجسد علاقة عموم وخصوص فـ:

الجسم = جســد+ إنســان.

جسد = الكتلة المادية بدون إنسانية و ذلك ظاهر من خلال الآيات الكريمة التي أوردها "**الراغب**".

---

1)- المفردات، ص 25.
2)- نفسه، ص 111.
3)- نفسه، ص 100.
4)- و قيل إنّ الجسد ولد لسليمان υ وأنّه لما ولد اجتمعت الشياطين و قال بعضهم لبعض إن عاش له ابن لم ننفك ممّا فيه من البلاء والسخرة فتعالوا نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان υ بذلك فأمر الريح حتى حملته إلى السحاب و غدا ابنه في السحاب خوفا من مضرة الشياطين فعاقبه الله Y لخوفه من الشياطين فلم يشعر إلاّ وقد وقع على كرسيه ميتا قال معناه الشعبي فهو الجسد الذي قال الله تعالى: (و **ألقينا على كرسيه جسدا**) و حكى النقاش و غيره إنّ أكثر ما وطيء سليمان υ جواريه طلبا للولد فولد له نصف إنسان فهو كان الجسد الملقى على كرسيه جاءت به القابلة فألقته هناك. تفسير القرطبي 201/15.

أمّا الجدار: « الحائط، إلاّ أنّ الحائط يقال اعتبارا بالإحاطة بالمكان، و الجدار يقال اعتبارا بالنتوء و الارتفاع، و جمعه جدر. قال تعالى: (**و أمّا الجدار فكان لغلامين)** [الكهف/82]، و قال: (**جدارا يريد أن ينقض فأقامه)** [الكهف/77]، و قال تعالى: (**أو من وراء جدر)** [الحشر/14]»[1].

الحائط = جدار + الإحاطة بمكان.

الجدار= بالنتوء والارتفاع؛ فكلّ حائط جدار و ليس العكس و الحقيقة أنّ هذه علاقة اشتمال مثل الغرفة و البيت و الدعامة و العمارة أي أنّ الأكبر يشمل الأصغر دائما.

و قد أفادنا "**الراغب**" بعلاقة العموم و الخصوص، في تحديد معنى الحزن و الجزع قال تعالى: (**سواء علينا أجزعنا أم صبرنا)** [إبراهيم/21][2].

الجزع: أبلغ من الحزن، فإنّ الحزن عام، و الجزع هو: حزن يصرف الإنسان عما هو بصدده، و يقطعه عنه، و أصل الجزع: قطع الحبل من نصفه، يقال: جزعته فانجزع»[3].

الجزع= حزن+ يصرف الإنسان عما هو بصدده + يقطعه عن الشيء الذي هو بصدده. و روي عن النبي أنّه قال يقول أهل النار إذا اشتد بهم العذاب تعالوا نصبر فيصبرون خمسمائة عام فلما رأوا أنّ ذلك لا ينفعهم قالوا هلم فلنجزع فيجزعون ويصيحون خمسمائة عام فلما رأوا أنّ ذلك لا ينفعهم قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقال "**محمد بن كعب القرظي**" ذكر لنا أنّ أهل النار يقول بعضهم لبعض يا هؤلاء قد نزل بكم من البلاء و العذاب ما قد ترون فأجمعوا رأيهم على الصبر فصبروا فطال صبرهم فجزعوا فنادوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص أي منجى فقام إبليس ثمّ ذلك فقال إنّ الله وعدكم وعد الحق و وعدتكم فأخلفتكم و ما كان لي عليكم من سلطان إلاّ أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني و لوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم يقول لست بمغن عنكم شيئا و ما أنتم بمصرخي إني كفرت بما أشركتموني، وقال الشيطان لما قضي الأمر قال "**الحسن**" يقف إبليس يوم القيامة خطيبا في جهنم على منبر من نار يسمعه الخلائق جميعا و معنى لما قضي الأمر أي

---

[1])- المفردات، ص 96..

[2])- وقوله: (**لو هدانا الله لهديناكم**) يقول عز ذكره قالت القادة على الكفر بالله لتباعها لو هدانا الله يعنون لو بين الله لنا شيئا ندفع به اليوم لهديناكم لبينا ذلك لكم حتى تدفعوا العذاب عن أنفسكم ولكنا قد جزعنا من العذاب فلم ينفعنا جزعنا منه و صبرنا عليها سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص يعنون ما لهم من كفتي يكذبونني عنه يقال منه حاص عن كذا إذا زاغ عنه يحيص حيصا و حيوصا و حيصانا. تفسير الطبري، 199/13

[3])- نفسه، ص 100.

حصل أهل الجنّة في الجنّة وأهل النار في النار على ما يأتي بيانه في "**مريم**" عليها السلام إنّ الله وعدكم وعد الحق يعني البعث و الجنّة و النار و ثواب المطيع و عقاب العاصي فصدقكم وعده ووعدتكم أن لا بعث و لا جنّة و لا نار ولا ثواب ولا عقاب فأخلفتكم[1]. هذا المعنى الدقيق لمفهوم الجزع حاولنا العثور عليه في أمهات كتب التفسير كـ"**القرطبي**" و"**ابن كثير**" و"**الطبري**" وغيره لكننا لم نجد هذا الفرق الذي جسده "**الراغب**" في معنى هذه الكلمة التي تدلنا على يأس تام وحزن لا متناه يعيشه أصحاب النار.

ومعنى المصاحبة و الاجتماع فرق بينهما أيضا. فكلّ مصاحبة اجتماع و ليس كلّ اجتماع مصاحبة. يمكن أن تكون هذه العلاقة علاقة عموم و خصوص فيمكن للشخص أن يجتمع مع شخص بدون أن يصاحبه لكن العكس غير وارد.

المصــاحبة تستلزم الاجتماع:

الاجتماع لا يستلزم المصاحبة... فما المصاحبة إذن و ماذا يخصصها عن الاجتماع ؟

« و المصاحبة و الاصطحاب أبلغ من الاجتماع؛ لأجل أنّ المصاحبة تقتضي طول لبثه، فكلّ اصطحاب اجتماع، و ليس كلّ اجتماع اصطحابا، و قوله: (**و لا تكن كصاحب الحوت**) [القلم/48]»[2].

المصاحبة = الاجتماع + طول لبث

و مثال ذلك الآية الكريمة التي تدلنا على أنّ سيدنا "**يونس** υ" قد طال لبثه في بطن الحوت. و الغريب في الأمر أنّ المفسرين لما يقفون عند قوله تعالى: (**و لا تكن كصاحب الحوت**) [القلم/48] فإنّهم يسردون القصة بأكملها و يذهبون إلى تفسير معنى ذا النون أو التفريق بن بعض الأقوال في أن سيدنا "**يونس** υ" كان مغموما أو مهموما و ما الفرق بينهما أو سرد قصته بالكامل و هذا ما يجمع عليه المفسرون سواء في سورة "**يونس**" أو في سورة "**القلم**". لكن أن يلتفت المفسرون إلى هذا التوظيف الدقيق الذي يحيلنا إلى طول مدة اللبث ببطن الحوت فهذا ما ذكره "**الراغب**"

---

[1])- تفسير القرطبي، 355/9.
[2])- نفسه، ص 278.

منهجه في ظاهرة الأضداد:

و قوله: (**وأسروا الندامة**) [يونس/54]، أي: كتموها[1]، و قيل: معناه أظهروها بدلالة قوله تعالى: (**يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا**) [الأنعام/27]، و ليس كذلك، لأنّ الندامة التي كتموها ليس بإشارة إلى ما أظهروه من قوله: (**يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا**) [الأنعام/27]، و أسررت إلى فلان حديثا: أفضيت إليه في خفية، قال تعالى: (**و إذ أسر النبي**) [التحريم/3]، و قوله: (**تسرون إليهم بالمودة**) [الممتحنة/1]، أي: يطلعونهم على ما يسرون من مودتهم، و قد فسر بأنّ معناه: يظهرون, و هذا صحيح؛ فإنّ الإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسر، و إن كان يقتضي إخفاءه عن غيره، فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهار، و من وجه الإخفاء، و على هذا قوله: (**و أسررت لهم إسرارا**) [نوح/9][2].

و منها لفظ (الشراء) حيث نجد **"الراغب"** يقول: « الشراء و البيع يتلازمان، فالمشتري دافع الثمن، و آخذ المثمن، و البائع دافع المثمن، و آخذ الثمن. هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بناض و سلعة، فأمّا إذا كانت بيع سلعة بسلعة صح أن يتصور كلّ واحد منهما مشتريا و بائعا، و من هذا الوجه صار لفظ البيع و الشراء يستعمل كلّ واحد منهما في موضع الآخر»[3]. و يشرى معناه يبيع ومنه (**و شروه بثمن بخس**) أي باعوه و أصله الاستبدال ومنه قوله تعالى: (**إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة**)[4].

و كلمة شرى الواردة في سورة **"يوسف**υ" تحمل على البيع و يمكن حمل البيع على الشراء حسبما ذكره **"الراغب"** في جمعه بين الضدين، فهو يتبنى هذا الرأي ويقدم الأدلة من القرآن الكريم فيقول: « وشريت بمعنى بعت أكثر، و ابتعت بمعنى اشتريت أكثر، قال الله تعالى: (**و شروه بثمن بخس**) [يوسف/20]، أي: باعوه و كذلك قوله: (**يشرون الحياة الدنيا بالآخرة**) [النساء/74]، و تجوز بالشراء و الاشتراء في كلّ ما يحصل به شيء، نحو: (**إنّ الذين يشترون بعهد الله**) [آل عمران/ 77]، (**لا يشترون بآيات الله**) [آل عمران/199]، (**اشتروا الحياة الدنيا**) [البقرة/86]»([5]).

---

[1])- وهو قول الفراء أبي زكرياء يحي بن زياد الفراء(207/144) في: معاني القرآن، مطبعة دار الكتب المصرية، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار, ط 3، 1422هـ/2001 له 469/1

[2])- أنظر:المفردات، ص 234.

[3])- نفسه، ص 263.

[4])- أنظر: تفسير القرطبي، 21/3. تفسير الطبري، 167/12.

[5])- المفردات، ص 263.

ومن الأمثلة التي كان لها النصيب الأوفر في هذا المنهج في ظاهرة الأضداد لفظة **الظن** الواردة في آيات كثيرات و هذه اللفظة كما هو معلوم تحتمل المعنيين معا إمّا الشك و إمّا اليقين. فعند تطبيقه لمنهجه و هو الجمع بين المتناقضين يحاول أن يوجد تعريفا للظن فيقول: «الظن: اسم لما يحصل عن أمارة، و متى قويت أدت إلى العلم، و متى ضعفت جدا لم يتجاوز حد التوهم»[1]. ثمّ يضيف لنا قاعدة لتمييز متى تكون الآية بمعنى الاعتقاد والجزم و هي قريبة من مفهوم التضام فيقول: « و متى قوي أو تصور القوي استعمل معه (أنّ) المشددة، و (أنّ) المخففة منها. و متى ضعف استعمل أنّ المختصة بالمعدومين من القول و الفعل»[2].

قـــاعدة: الظــن+ التوكيد (أنّ، إنّ) = اليقين

و يستشهد لذلك بمجموعة من الآيات :فقوله: (**الـذين يظنـون أنّهـم ملاقـوا ربهـم**) [البقرة/46]= اليقين لأنّها مقترنة بأنّ.

و كذا: (**يظنون أنّهم ملاقوا الله**) [البقرة/249]= اليقين لاقترانها بـ أنّ.

فمن اليقين، (**و ظـن أنّـه الفـراق**) [القيامـة/28]= اليقين و قولـه: (**ألاّ يظـن أولئـك**) [المطففين/4]، و هو نهاية في ذمهم. و معناه: ألاّ يكون منهم ظن لذلك تنبيها أنّ أمارات البعث ظاهرة. فالأمارة قوية ولكن تعنتهم و قوله: (**و ظن أهلها أنّهم قادرون عليها**) [يونس/24] = اليقين لاقترانها بـأنّ تنبيها أنّهم صاروا في حكم العالمين لفرط طمعهم و أملهم....

و قوله: (**و استكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنّهم إلينا لا يرجعون**) [القصص/39]، فإنّه استعمل فيه (أنّ) المستعمل مع الظن الذي هو للعلم، تنبيها أنّهم اعتقدوا ذلك اعتقادهم للشيء المتيقن و إن لم يكن ذلك متيقنا...

و قوله: (**و ظنوا أنّهم مانعتهم حصونهم**) [الحشر/2]، أي: اعتقدوا اعتقادا كانوا منه في حكم المتيقنين، و على هذا قوله: (**و لكن ظننتم أنّ الله لا يعلم كثيرا ممّا تعملون**) [فصلت/22]، و قوله: (**الظانين بالله ظن السوء**) [الفتح/6]، هو مفسر بما بعده، و هو قوله: (**بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول**) [الفتح/12]، (**إن نظن إلاّ ظنا**) [الجاثية/32]، و الظن في كثير

[1])- نفسه، ص 320.
[2])- نفسه، ص 320.

من الأمور مذموم، و لذلك قال تعالى: (**و ما يتبع أكثرهم إلاّ ظنا**) [يونس/36]»[1]. و قد حدثنا "**أحمد بن يحيى النحوي**" أنّ العرب تجعل الظن علما و شكا و كذبا و قال إذا قامت براهين العلم فكانت أكثر من براهين الشك فالظن يقين إذا اعتدلت براهين اليقين و براهين الشك فالظن شك و إذا زادت براهين الشك على براهين اليقين فالظن كذب قال الله Y: (**و إن هم إلاّ يظنون**) أراد إلاّ يكذبون[2]....

القول في تأويل قوله: (**و اللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن**).اختلف أهل التأويل في معنى قوله و اللاتي تخافون نشوزهن فقال بعضهم معناه و اللاتي تعلمون نشوزهن، ووجه صرف الخوف في هذا الموضع إلى العلم في قول هؤلاء نظير صرف الظن إلى العلم لتقارب معنييهما إذ كان الظن شكا و كان الخوف مقرونا برجاء و كانا جميعا من فعل المرء بقلبه[3].

التضـــــام:

و مثال ذلك كلمة[رب] نحو قوله: (**بلدة طيبة و رب غفور**) [سبأ/15]. و على هذا قوله تعالى: (**و لا يأمركم أن تتخذوا الملائكة و النبيين أربابا**) [آل عمران/80]، فكلمة الرب الواردة في هذه الآيات يصل "**الراغب**" إلى تفسيرها كالآتي «أي: آلهة، و تزعمون أنّهم الباري مسبب الأسباب، و المتولي لمصالح العباد»[4]. لأنّ الكلمة لم تقترن بأي إضافة تصرفها عن معناها الأصلي ولكن « بالإضافة يقال له ولغيره» نحو قوله: (**رب العالمين**) [الفاتحة/1]، و(**ربكم و رب آبائكم الأولين**) [الصافات/126]، و يقال: رب الدار، و رب الفرس لصاحبهما، وعلى ذلك قول الله تعالى: (**أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه**) [يوسف/42]»[5]. والظاهر أنّ الآية لا تفهم مباشرة بقضية التضام لأنّ الإضافة أتت لحرف الخطاب الكاف و قد تأتي بهذا المفهوم للدلالة على الآلهة مثل قوله تعالى: (**قال فمن ربكما يا موسى**)[طه/39]، و لكن عموم السياق يدلنا على أنّ الرب هنا هو الملك أو العزيز.

---

[1])- السابق، ص 320

[2])- أنظر: تفسير القرطبي، 6/2.

[3])- الطبري، 61/5.

[4])- المفردات، ص 190

[5])- نفسه، ص 190.

و قوله تعالى: (**ارجع إلى ربك)** [يوسف/50]، و قوله: (**قال معاذ الله إنّه ربي أحسن مثواي)** [يوسف/23]، و الآية الأخيرة تحمل على الوجهين أولا قيل: عنى به الله تعالى. ثانيا قيل: عنى به الملك الذي رباه[1]. فالتضام لوحده في بعض الحالات لا يفيدنا بل يفيدنا السياق.

ثمّ يتكلم **"الراغب"** عن كلمة أخرى و هي **الدفع** فيقول: « الدفع إذا عدي بإلى اقتضى معنى الإنالة، نحو قوله تعالى: (**فادفعوا إليهم أموالهم)** [النساء/6]،أي :ناولوهم أموالهم وحقوقهم التي حفظتموها لهم في الكفالة، و إذا عدي بعن اقتضى معنى الحماية، نحو: **(إنّ الله يدافع عن الذين آمنوا)** [الحج/38]»[2].

و لكن لكلّ قاعدة استثناءات فهو يرى أنّ قوله تعالى: (**و لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض)** [الحج/40]، و قوله: (**ليس له دافع من الله ذي المعارج)** [المعارج/2 - 3]، معناه: « حام»[3]. إذن يمكن لنا أن نستنتج قاعدة قرآنية وهي:

الدفع +إلى = المناولة .

الدفع +عن =الحماية

فقبض اليد على الشيء جمعها بعد تناوله، و قبضها عن الشيء جمعها قبل تناوله، و ذلك إمساك عنه، و منه قيل لإمساك اليد عن البذل[4].

أمّا في ماد ة **نسي** فإنّه يذكر أنّ النسيان الذي هو من الإنسان ذمه الله تعالى به أي ما كان منه متعمدا و منه قوله تعالى

العقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم، و يقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل.

و أصل العقل: الإمساك والاستمساك، كعقل البعير بالعقال، و عقل الدواء البطن، وعقلت المرأة شعرها، و عقل لسانه: كفه، و منه قيل: للحصن: معقل، و جمعه معاقل. وباعتبار عقل

---

[1])- أنظر: المفردات، ص 190. القرطبي، 195/9. الطبري، 178/12. إسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي أبو الفداءت (774), دار الفكر، بيروت، 1404. 474/2. محمد بن أحمد و عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، دار الحديث القاهرة، ط1.تفسير الجلالين 306/1.
[2])- نفسه، ص 177.
[3])- نفسه، ص 177.
[4])- السابق، ص 392.

البعير قيل: عقلت المقتول: أعطيت ديته، و قيل: أصله أن تعقل الإبل بفناء ولي الدم، وقيل: بل بعقل الدم أن يسفك، ثمّ سميت الدية بأي شيء كان عقلا، و سمي الملتزمون له عاقلة[1].

و النهية: العقل الناهي عن القبائح. جمعها: نهى. قال تعالى: (**إنّ في ذلك لآيات لأولي النهى**) [طه/54][2].

الحجر والتحجير: أن يجعل حول المكان حجارة، يقال: حجرته حجرا، فهو محجور، وحجرته تحجيرا فهو محجر، و سمى ما أحيط به الحجارة حجرا، و به سمي حجر الكعبة وديار ثمود، قال تعالى: (**كذب أصحاب الحجر المرسلين**) [الحجر/80]، و تصور من الحجر معنى المنع لما يحصل فيه، **فقيل للعقل حجر، لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه**، و قال تعالى: (**هل في ذلك قسم لذي حجر**) [الفجر/5][3].

قال بعض الحكماء: « حيثما ذكر الله تعالى **القلب** فإشارة إلى **العقل و العلم** نحو: (**إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**) [ق/37]، و حيثما ذكر **الصدر** فإشارة إلى ذلك، و إلى **سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها**، و قوله: (**رب اشرح لي صدري**) [طه/25]، فسؤال لإصلاح قواه، و كذلك قوله: (**و يشف صدور قوم مؤمنين**) [التوبة/14]، إشارة إلى اشتفائهم، و قوله: (**فإنّها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور**) [الحج/ 46]، أي: العقول التي هي مندرسة فيما بين سائر القوى وليست بمهتدية، و الله أعلم بذلك، وبوجه الصواب فيه»[4].

وقلب الإنسان قيل: سمي به لكثرة تقلبه، و يعبر **بالقلب** عن المعاني التي تختص به من **الروح والعلم والشجاعة** و غير ذلك، و قوله: (**و بلغت القلوب الحناجر**) [الأحزاب/10] أي: الأرواح. و قال: (**إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب**) [ق/37] أي: علم و فهم، و كذلك: (**و جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه**) [الأنعام/25]، و قوله: (**وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون**) [التوبة/87]، و قوله: (**و لتطمئن به قلوبكم**) [الأنفال/10] أي: تثبت به شجاعتكم ويزول خوفكم، و على عكسه: (**و قذف في قلوبهم الرعب**) [الحشر/ 2]، و قوله: (**ذلكم أطهر لقلوبكم و قلوبهن**) [الأحزاب/53] أي: أجلب للعفة، و قوله: (**هو الذي أنزل السكينة في قلوب**

---

[1])- المفردات، مادة عقل
[2])- المفردات، مادة نهى
[3])- المفردات، مادة حجر
[4])- المفردات، مادة صدر

المؤمنين) [الفتح/4]، و قوله: **(وقلوبهم شتى)** [الحشر/14] أي: متفرقة، و قوله: **(و لكن تعمى القلوب التي في الصدور)** [الحج/46] قيل: العقل، و قيل: الروح. فأمّا العقل فلا يصح عليه ذلك[1].

الفؤاد كالقلب لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي: **التوقد**، يقال: فأدت اللحم: شويته، و لحم فئيد: مشوي. قال تعالى: **(ما كذب الفؤاد ما رأى)** [النجم/11]، **(إنّ السمع والبصر والفؤاد)** [الإسراء/36]، و جمع الفؤاد: أفئدة. قال: **(فاجعل أفئدة من النّاس تهوي إليهم)** [إبراهيم/37]، **(و جعل لكم السمع و الأبصار و الأفئدة)** [الملك/23]، **(و أفئدتهم هواء)** [إبراهيم/43]، **(نار الله الموقدة ، التي تطلع على الأفئدة)** [الهمزة/6 - 7]. وتخصيص الأفئدة تنبيه على فرط تأثير له[2]إذن:

العقل: يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم.

النهيه:العقل سمي كذلك لأنّه ينهى عن الوقوع في القبائح.

الحجر:العقل سمي كذلك لكون الإنسان في منع منه مما تدعو إليه نفسه.

و قد يستخدم **القلب** إشارة **للعقل والعلم** و يعبر **بالقلب** عن المعاني التي تختص به من **الروح و العلم و الشجاعة**

أمّا استعمال **الصدر** فإشارة إلى ذلك، و إلى **سائر القوى من الشهوة والهوى والغضب ونحوها و الفؤاد كالقلب** لكن يقال له فؤاد إذا اعتبر فيه معنى التفؤد، أي: **التوقد.**

الفقــه: **هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخص من العلم.** قال تعالى: **(فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا)** [النساء/78]، **(و لكن المنافقين لا يفقهون)** [المنافقون/7]، إلى غير ذلك من الآيات، و الفقه: العلم بأحكام الشريعة، يقال: فقه الرجل فقاهة: إذا صار فقيها[3]

العلم: إدراك الشيء بحقيقته؛ و ذلك ضربان:

أحدهما: إدراك ذات الشيء.

---

[1])- أنظر: نفسه، مادة قلب

[2])- نفسه، مادة فأد

[3])-المفردات، مادة فقه.

و **الثـاني**: الحكـم علـى الـشيء بوجـود شـيء هـو موجـود لـه، أو نفـي شـيء و منفـي عنـه....[1].

المعرفة والعرفـان: إدراك الـشيء بتفكـر وتـدبر لأثـره، وهـو أخـص مـن العلـم، وبـضاده الإنكار، و يقـال: فـلان يعـرف الله و لا يقـال: يعلـم الله متعـديا إلـى مفعـول واحـد، لمّـا كـان معرفـة البشر لله هي بتدبر آثاره دون إدراك ذاته، و يقـال: الله يعلـم كـذا، و لا يقـال: يعـرف كـذا[2]، إذن: بين العلم و المعرفة و الفقه علاقة عموم و خصوص مثلما ذكر "**الراغب**":

العلم: إدراك الشيء بحقيقتـه..... فهو عام.

المعرفة و العرفان: إدراك الشيء بتفكر + تدبر لأثره....... خصص بالتدبر والتفكر.

الفقـــه: **هو التوصل إلى علم غائب بعلم شاهد**.... خصص بإدراكه بواسطة.

الـشك: اعتـدال النقيـضين عنـد الإنـسان و تـساويهما، و ذلـك قـد يكـون لوجـود أمـارتين متساويتين عند النقيضين، أو لعدم الأمارة فيهما، و الشك ربما كان في الشيء هل هو موجود أو غير موجود؟ و ربما كان في جنسه، من أي جنس هو؟ و ربمـا كـان فـي بعـض صـفاته، و ربمـا كان في الغرض الذي لأجله أوجد. و الشك: ضـرب مـن الجهل، و هـو أخـص منـه؛ لأنّ الجهـل قـد يكون عدم العلم بالنقيضين رأسا، فكلّ شك جهل، و ليس كلّ جهـل شـكا، قـال الله تعـالى: (**وإنّـهم لفي شك منه مريب**) [هود/110]، (**بل هم في شك يلعبون**) [الدخان /9]، (**فإن كنت فـي شـك**) [يونس/94][3]

الفرق بين الحديث و النبأ و الخبر:

و كلّ كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقـال لـه: حـديث، قـال Y: (**و إذ أسـر النبـي إلـى بعـض أزواجـه حـديثا**) [التحـريم/3]، و قـال تعـالى: (**هـل أتـاك حديث الغاشـية**) [الغاشية/1]، و قال Y: (**و علمتني من تأويل الأحاديث**) [يوسـف/101]، أي: مـا يحـدث بـه الإنـسان فـي نومـه، و سـمى تعـالى كتابـه حـديثا فقـال: (**فليـأتوا بحـديث مثلـه**) [الطـور/34]، و قـال تعـالى: (**أفمـن هـذا الحـديث تعجبـون**) [النـجم/59]، و قـال: (**فمـا لهـؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا**) [النساء/78]، و قال تعالى: (**حتى يخوضوا في حديث غيره**)

---
[1])- أنظر، نفسه مادة علم
[2])- نفسه، مادة عرف.
[3])-المفردات، 229. مادة شك.

[الأنعام/68]، (**فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون)** [الجاثية/6]، و قال تعالى: (**و من أصدق من الله حديثا)** [النساء/87]، و قال ρ: (إن يكن في هذه الأمة محدث فهو عمر)[1]، الحديث صحيح متفق عليه.

و إنّما يعني من يلقى في روعه من جهة الملأ الأعلى شيء، و قوله Y: (**فجعلناهم أحاديث)** [سبأ/19]، أي: أخبار يتمثل بهم[2].

الخبر: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر، و خبرته خبرا و خبرة، و أخبرت: أعلمت بما حصل لي من الخبر، و قيل الخبرة المعرفة ببواطن الأمر، و الخبار والخبراء: الأرض اللينة و قد يقال ذلك لما فيها من الشجر، و المخابرة، مزارعة الخبار بشيء معلوم، والخبير: الأكار فيه، و الخِبر (الخبر بكسر الخاء و فتحها، انظر: اللسان (خبر): المزادة العظيمة، و شبهت بها الناقة فسميت خبرا، و قوله تعالى: (**و الله خبير بما تعملون)** [آل عمران/153]، أي: عالم بأخبار أعمالكم، و قيل أي: عالم ببواطن أموركم، وقيل: خبير بمعنى مخبر، كقوله: (**فينبئكم بما كنتم تعملون)** [المائدة/105]، و قال تعالى: (**و نبلو أخباركم)** [محمد/31]، (**قد نبأنا الله من أخباركم)** [التوبة/94]، أي: من أحوالكم التي نخبر عنها[3].

النبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن، ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة، و حق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب، كالتواتر، و خبر الله تعالى، و خبر النبي ρ، و لتضمن النبأ معنى الخبر يقال: أنبأته بكذا كقولك: أخبرته بكذا، و لتضمنه معنى العلم قيل: أنبأته كذا، كقولك: أعلمته كذا قال الله تعالى: **(قل هو نبأ عظيم، أنتم عنه معرضون)** [ص/67 - 68]، و قال: (**عم يتساءلون، عن النبإ العظيم)** [النبأ/1 -]، (**ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل فذاقوا وبال أمرهم)** [التغابن/5]، وقال: (**تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك)** [هود/49]، و قال: **(تلك القرى نقص عليك من أنبائها)** [الأعراف/101]، و قال: (**ذلك من أنباء القرى نقصه عليك)** [هود/100]، و قوله: (**إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا)** [الحجرات/ 6]، فتنبيه أنّه إذا كان الخبر شيئا عظيما له قدر فحقه أن يتوقف فيه؛ و إن علم و غلب صحته على الظن حتى يعاد النظر فيه، و يتبين فضل تبين، يقال: نبأته و أنبأته. إذن:

---

[1])- عن أبي هريرة τ قال: قال رسول الله ρ: (لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فإنه عمر).انظر: البخاري 1279/3؛ و أخرجه أحمد 55/6.

[2])- المفردات، ص118.

[3])- السابق، ص 148.

النبأ=خبر+ فائدة عظيمة + يحصل به علم.

الخبر: العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر إعلام بما حصل أو هو نوع من المعرفة لتضمن النبأ معنى الخبر أي أنّ **النبأ يشترك مع الخبر في جهة العلم بالشيء، أمّا الحديث فشيء عام يدخل الاثنان تحته، لأنّه مطلق يقتضي السماع أو المنام، على عكس الخبر؛ الذي يقتضي السماع فقط.**

قال تعالى: (**أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين**) [البقرة/31]، و قال: (**أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم**) [البقرة/33]، و قال: (**نبأتكما بتأويله**) [يوسف/37]، (**ونبئهم عن ضيف إبراهيم**) [الحجر/ 51]، و قال: (**أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض**) [يونس/ 18]، (**قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم**) [الرعد/33]، و قال: (**نبئوني بعلم إن كنتم صادقين**) [الأنعام/143]، (**قد نبأنا الله من أخباركم**) [التوبة/94]. **ونبأته أبلغ من أنبأته**، (**فلننبئن الذين كفروا**) [فصلت/50]، (**ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر**) [القيامة/13]، و يدل على ذلك قوله: (**فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير**) [التحريم/3] **و لم يقل: أنبأني، بل عدل إلى (نبأ) الذي هو أبلغ تنبيها على تحقيقه وكونه من قبل الله.**

و كذا قوله: (**قد نبأنا الله من أخباركم**) [التوبة/94]، (**فينبئكم بما كنتم تعملون**) [المائدة/105][1].

الخر والسقوط:

(**كأنّما خر من السَّماء**) [الحج/31]، و قال تعالى: (**فلمّا خر تبينت الجِّن**) [سبأ/14]، وقال تعالى: (**فخر عليهم السقف من فوقهم**) [النحل/26]، فمعنى خر سقط سقوطا يسمع منه خرير، و الخرير يقال لـ**صوت** الماء و الريح و غير ذلك مما **يسقط** من علو. و قوله تعالى: (**خروا سجدا**) [السجدة/15]، فاستعمال الخر، تنبيه على **اجتماع أمرين: السقوط، وحصول الصوت** منهم بالتسبيح، و قوله من بعده: (**و سبحوا بحمد ربهم**) [السجدة/15]، فتنبيه أنّ ذلك الخرير كان تسبيحا بحمد الله لا بشيء آخر[2].

---

[1])- السابق، ص 482.

[2])- نفسه، ص 151.

الخشية: خوف يشوبه تعظيم، و أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، و لذلك خص العلماء بها في قوله: (**إنّما يخشى الله من عباده العلماء**) [فاطر/28]، و قال: (**و أمّا من جاءك يسعى، و هو يخشى**) [عبس/8 - 9]، (**من خشي الرحمن بالغيب**) [ق/33]، (**فخشينا أن يرهقهما**) [الكهف/80]، (**فلا تخشوهم واخشوني**) [البقرة/150]، (**يخشون النّاس كخشية الله أو أشد خشية**) [النساء/77]، و قال: (**الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه و لا يخشون أحدا إلاّ الله**) [الأحزاب/39]، (**و ليخش الذين...**) الآية [النساء/9]، أي: ليستشعروا خوفا من معرته، و قال تعالى: (**و لا تقتلوا أولادكم خشية إملاق**) [الإسراء/31]، أي: لا تقتلوهم معتقدين مخافة أن يلحقهم إملاق، (**لمن خشي العنت**) [النساء/25]، أي: لمن خاف خوفا اقتضاه معرفته بذلك من نفسه.إذن:**الخشية =الخوف + التعظيم**[1].

الفرق بين مد وأمد:

أصل المد: الجر، و منه: المدة للوقت الممتد، و مدة الجرح، و مد النهر، و مده نهر آخر، ومددت عيني إلى كذا. قال تعالى: (**و لا تمدن عينيك**) الآية [طه/131]. و مددته في غيه، ومددت الإبل: سقيتها المديد، و هو بزر ودقيق يخلطان بماء، و أمددت الجيش بمدد، و الإنسان بطعام. قال تعالى: (**ألم تر إلى ربك كيف مدَّ الظل**) [الفرقان/45]. ألم تر إلى ربِّك كيف مدَّ الظل قال "**ابن عباس**" و"**ابن عمر**" و"**أبو العالية**" و"**أبو مالك**" و"**مسروق**" و"**مجاهد**" و"**سعيد بن جبير**" و"**النخعي**" و"**الضحاك**" و"**الحسن**" و"**قتادة**" هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس و لو شاء لجعله ساكنا أي دائما لا يزول كما قال تعالى: (**قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدا**) الآيات و قوله تعالى: (**ثمّ جعلنا الشمس عليه دليلا**) أي لولا أنّ الشمس تطلع عليه لما عرف فإن الضد لا يعرف إلاّ بضده[2].

وأكثر ما جاء الإمداد في المحبوب والمد في المكروه نحو: (**و أمددناهم بفاكهة و لحم ممَّا يشتهون**) [الطور/22]، (**أيحسبون أنّما نمدهم به من مال وبنين**) [المؤمنون/55]، (**ويمددكم بأموال وبنين**) [نوح/12]، (**يمددكم بخمسة آلاف**) الآية [آل عمران/125]، (**أتمدونن بمال**) [النمل/36]، (**و نمد له من العذاب مدا**) [مريم/79]، (**و يمدهم في طغيانهم يعمهون**) [البقرة/15]، (**و إخوانهم يمدونهم في الغي**) [الأعراف/202]، (**و البحر يمده من**

---

1)- السابق، ص 155.
2)- انظر: ابن كثير،221/3.س

بعده سبعة أبحر) [لقمان/27] فمن قولهم: مده نهر آخر، و ليس هو ممّا ذكرناه من الإمداد والمد المحبوب و المكروه، و إنّما هو من قولهم: مددت الدواة أمدها، و قوله: **(و لو جئنا بمثله مددا)** [الكهف/109]، و المد من المكاييل معروف[1].

الفرق بين النبذ و الإلقاء:

النبذ: إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به،« و لذلك يقال: نبذته نبذ النعل الخلق، قال تعالى: (**لينبذن في الحطمة)** [الهمزة/4]، (**فنبذوه وراء ظهورهم)** [آل عمران/187] لقلة اعتدادهم به، و قال: (**نبذه فريق منهم)** [البقرة/100] أي: طرحوه لقلة اعتدادهم به، وقال: **(فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم)** [القصص/40]، (**فنبذناه بالعراء)** [الصافات/145]، **(لنبذ بالعراء)** [القلم/ 49]، و قوله: (**فانبذ إليهم على سواء)** [الأنفال/58] فمعناه: ألق إليهم السلم، و استعمال النبذ في ذلك كاستعمال الإلقاء كقوله: **(فألقوا إليهم القول إنّكم لكاذبون)** [النحل/86]، **(و ألقوا إلى الله يومئذ السلم)** [النحل/87]، تنبيها أنّ لا يؤكد العقد معهم بل حقهم أن يطرح ذلك إليهم طرحا مستحثا به على سبيل المجاملة، و أن يراعيهم حسب مراعاتهم له، و يعاهدهم على قدر ما عاهدوه، وانتبذ فلان: اعتزل اعتزال من لا يقل مبالاته بنفسه فيما بين النّاس. قال تعالى: (**فحملته فانتبذت به مكانا قصيا)** [مريم/22]، و قعد نبذة ونبذة. أي: ناحية معتزلة، و صبي منبوذ ونبيذ كقولك: ملقوط و لقيط، لكن يقال: منبوذ اعتبارا بمن طرحه، و ملقوط و لقيط اعتبارا بمن تناوله، و النبيذ: التمر و الزبيب الملقى مع الماء في الإناء، ثمّ صار اسما للشراب المخصوص»[2].

الطرد: هو الإزعاج و الإبعاد على سبيل الاستخفاف، يقال: طردته، قال تعالى: (**و يا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم)** [هود/30]، (**و لا تطرد الذين)** [الأنعام/52]، **(وما أنا بطارد المؤمنين)** [الشعراء/114]، (**فتطردهم فتكون من الظالمين)** [الأنعام/52][3].

القلى: شدّة البغض. يقال: قلاه يقليه ويقلوه. قال تعالى: (**ما ودعك ربك و ما قلى)** [الضحى/3]، و قال: (**إنّي لعملكم من القالين)** [الشعراء/168] فمن جعله من الواو فهم من

---

[1])- المفردات، ص 268.

[2])- نفسه، ص 485.

[3])- نفسه، ص 306

القلو، أي: الرمي، من قولهم: قلت الناقة براكبها قلوا، و قلوت بالقلة[1]، و لعلّ المفسرين حين يتعرضون للآية يتعرضون لسبب نزولها محاولين ترجيح رواية على أخرى مابين الإمام "**البخاري**" و رواية الإمام "**الترمذي**" أو في ذكر سبب الانقطاع([2])، إلاّ ما ذكره "**ابن كثير**" في ذكر هذا المعنى اللغوي الدقيق ما ودعك ربك أي ما تركك وما قلى أي وما أبغضك وللآخرة خير لك من الأولى و للدار الآخرة خير لك من هذه الدار ولهذا كان رسول الله ρ أزهد النّاس في الدنيا و أعظمهم لها إطراحا كما هو معلوم بالضرورة[3].

الفــتـــــور:

سكون بعد حدة، و لين بعد شدة، و ضعف بعد قوة. قال تعالى: (**يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل**) [المائدة/19]، أي: سكون حال عن مجيء رسول الله ، و قوله: (**لا يفترون**) [الأنبياء/20]، أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة. وروي عن النبي أنّه قال: (لكلّ عالم شرة، و لكلّ شرة فترة، فمن فتر إلى سنتي فقد نجا وإلاّ فقد هلك) (الحديث عن "**ابن عباس**" τ قال: كانت مولاة للنبي تصوم النهار وتقوم الليل، فقيل له: إنّها تصوم النهار و تقوم الليل. فقال رسول: (إن لكلّ عمل شرة، و الشرة إلى فترة، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى، و من كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل).

الشرة: النشاط. فقوله: (لكلّ شرة فترة) فإشارة إلى ما قيل: للباطل جولة ثمّ يضمحل، وللحق دولة لا تذل و لا تقل. و قوله: (من فتر إلى سنتي) أي: سكن إليها[4]، و الطرف الفاتر: فيه ضعف مستحسن، و الفتر: ما بين طرف الإبهام و طرف السبابة، يقال: فترته بفتري، وشبرته بشبري[5].

---

[1])- المفردات، ص 412.

[2])- تفسير القرطبي، قالت خولة و كانت تخدم النبي صلى الله عليه وسلم: إنّ جروا دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله عليه الصلاة والسلام أياما لا ينزل عليه الوحي فقال يا خولة ما حدث في بيتي ما لجبريل لا يأتيني قالت خولة فقلت لو هيأت البيت و كنسته فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله ترعد لحياه و كان إذا نزل عليه الوحي أستقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله هذه السورة و لما نزل جبريل سأله النبي صلى الله علي هوسلم عن التأخر فقال: أما علمت أنا لا ندخل بيتا فيه كلب و لا صورة، 92,93/20.

[3])- ابن كثير، 523/4.

[4])- موارد الضمآن، علي بن أبي بكر الهيثمي أبو الحسن(735هـ/807هـ). دار الكتب العلمية، بيروت، تــ: محمد عبد الرزاق حمزة، 170/1.

[5])- المفردات، ص 373.

الذوق: وجود الطعم بالفم، و أصله فيما يقل تناوله دون ما يكثر، فإن ما يكثر منه يقال له: الأكل، و اختير في القرآن لفظ الذوق في العذاب؛ لأنّ ذلك – و إن كان في التعارف للقليل - فهو مستصلح للكثير، فخصه بالذكر ليعم الأمرين، و كثر استعماله في العذاب، نحو: **(ليذوقوا العذاب)** [النساء/56]، (**و قيل لهم ذوقوا عذاب النار)** [السجدة/20]، (**فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون)** [الأنفال/35]، (**ذق إنّك أنت العزيز الكريم)** [الدخان/49]، **(إنّكم لذائقوا العذاب الأليم)** [الصافات/38]، (**ذلكم فذوقوه)** [الأنفال/14]، (**ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر)** [السجدة/21]، و قد جاء في الرحمة نحو: **(ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة)** [هود/9]، (**و لئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته)** [هود/10]، إذن الذوق في أصله للقليل ولكنه استعمل للكثير و قد استعمل في العذاب وفي الرحمة[1].

رجا البئر و السماء و غيرهما: جانبها، و الجمع أرجاء، قال تعالى: **(و الملك على أرجائها)** [الحاقة/17].

و الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة، و قوله تعالى: (**ما لكم لا ترجون لله وقارا)** [نوح/13]، قيل: ما لكم لا تخافون و أنشد:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ∃ و حالفها في بيت نوب عوامل[2]

و وجه ذلك أنّ الرجاء و الخوف يتلازمان، قال تعالى: (**و ترجون من الله ما لا يرجون)** [النساء/104]، (**وآخرون مرجون لأمر الله)** [التوبة/106]، و أرجت الناقة: دنا نتاجها، وحقيقته: جعلت لصاحبها رجاء في نفسها بقرب نتاجها. و الأرجوان: لون أحمر يفرح تفريح الرجاء[3]، و غير معروف صرف الرجاء إلى معنى الخوف في كلام العرب إلاّ مع جحد سابق له كما قال جل ثناؤه (**ما لكم لا ترجون لله وقارا)** بمعنى لا تخافون لله.

و الرجاء ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة و قد يأتي لمعنى الخوف إذا سبق بنفي.

---

[1])- المفردات، ص 188.
[2])- وتفسير القرطبي، 311/8؛ و تفسير الطبري، 56/11)

[3])- المفردات، ص 194.

الفرق بين الرضا و الرضوان:

يقال: «رضي يرضى رضا، فهو مرضي و مرضو. و رضا العبد عن الله: أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، و رضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرا لأمره، و منتهيا عن نهيه، قال الله تعالى: (**رضي الله عنهم ورضوا عنه**) [المائدة/119]، و قال تعالى: (**لقد رضي الله عن المؤمنين**) [الفتح/18]، و قال تعالى: (**و رضيت لكم الإسلام دينا**) [المائدة/3]، وقال تعالى: (**أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة**) [التوبة/38]، و قال تعالى: (**يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم**) [التوبة/8]، و قال Y: (**و لا يحزن و يرضين بما آتيتهن كلهن**) [الأحزاب/51]»[1]، **والرضوان: الرضا الكثير**، و لما كان أعظم الرضا رضا الله تعالى خص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى: قال: (**و رهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلاّ ابتغاء رضوان الله**) [الحديد/27]، و قال تعالى: (**يبتغون فضلا من الله ورضوانا**) [الفتح/29]، و قال: (**يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان**) [التوبة/21]، و قوله تعالى: (**إذا تراضوا بينهم بالمعروف**) [البقرة/232]، أي: أظهر كلّ واحد منهم الرضا بصاحبه ورضيه[2]. إذن القاعد أنّ:

الرضوان = رضا+ كثرة + اختصاص بالباري سبحانه وتعالى

لبث بالمكان: أقام به ملازما له[3]. قال تعالى: (**فلبث فيهم ألف سنة**)[العنكبوت/14]، (**فلبثت سنين في أهل مدين**)[طه/40]، فلبثت سنين في أهل مدين يريد عشر سنين أتم الأجلين و قال وهب لبث ثمّ "**شعيب**" ثماني و عشرين سنة منها عشر مهر امرأته "**صفورا**" ابنة "**شعيب**" و ثماني عشرة أقامها عنده حتى ولد له عنده و قوله: (**ثمّ جئت على قدر يا موسى**)، قال "**ابن عباس**" و"**قتادة**" و"**عبد الرحمن بن كيسان**" يريد موافقا للنبوة والرسالة لأنّ الأنبياء لا يبعثون إلاّ أبناء أربعين سنة[4]. قال: (**كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم**) [الكهف/19]، (**لم يلبثوا إلاّ عشية**) [النازعات/46]، (**لم يلبثوا إلاّ ساعة من نهار**) [الأحقاف/35]، (**ما لبثوا في العذاب المهين**) [سبأ/14]. و الحقيقة أنّ اللبث إضافة إلى استقراء جميع الآيات له مفهوم زماني فهو يدلنا على طول الزمن و مثال ذلك قوله تعالى:

---

1)- السابق، ص 203

2)- نفسه، ص 203.

3)- نفسه، ص 450

4)- تفسير القرطبي، 198/11

(لبثين فيها أحقابا)، إلاّ ما ورد منفيا فإنّ له مفهوم قصر الوقت و مثال ذلك فما لبث أن جاء بعجل حنيذ ونستثني من ذلك قوله تعالى:(**ما لبثوا في العذاب المهين**) [سبأ/14].

الثواء: الإقامة مع الاستقرار، يقال: ثوى يثوي ثواء، قال: (**و ما كنت ثاويا في أهل مدين**) [القصص/45]، و قال: (**أليس في جهنم مثوى للمتكبرين**)[الزمر/60][1].

المكث: ثبات مع انتظار[2]، يقال: مكث مكثا. قال تعالى: (**فمكث غير بعيد**) [النمل/22]، (**إنّكم ماكثون**) [الزخرف/77]، (**قال لأهله امكثوا**) [القصص/29]. إذن:

المكث ثبات + انتظار و الانتظار بالضرورة يقتضي مجيء شيء ما.

اللبث= الإقامة + الملازمة وفي غالبه يأتي لطول الزمن ما لم يقترن بالنفي.

الثواء= قامة+ استقرار.

الهداية:

دلالة بلطف و منه: الهدية، و هوادي الوحش. أي: متقدماتها الهادية لغيرها، و خص ما كان دلالة بهديت، و ما كان إعطاء بأهديت. نحو: أهديت الهدية، و هديت إلى البيت. إن قيل: كيف جعلت الهداية دلالة بلطف و قد قال الله تعالى: (**فاهدوهم إلى صراط الجحيم**) [الصافات/23]، (**و يهديه إلى عذاب السعير**) [الحج/4]. قيل: ذلك استعمل فيه **استعمال اللفظ على التهكم مبالغة في المعنى** كقوله: (**فبشرهم بعذاب أليم**) [آل عمران/21] وقول الشاعر: - **تحية بينهم ضرب وجيع**[3]

<u>**الفرق بين جأر ودعا**</u>

قال تعالى: (**فإليه تجأرون**) [النحل/53]، و قال تعالى: (**إذا هم يجأرون**) [المؤمنون/64]، (**لا تجأروا اليوم**) [المؤمنون/65]، **جأر:** إذا **أفرط في الدعاء والتضرع** تشبيها بجؤار الوحشيات، كالظباء و نحوها[4].

---

[1])- السابق، ص 90.

[2])- نفسه، ص 483.

[3])- العجز لعمرو بن معد ي كرب؛ و شطره: [و خيل قد دلفت لها بخيل]؛ تفسير الطبري (310/1) المفردات، ص 518.

[4])- نفسه، ص 92.

جأر =دعاء +وجود علاقة بين صوت الضباء وصوت الانسان على سبيل التضرع.

الفرق بين المجيء والإتيان

- **جاء يجيء و مجيئا، و المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم؛** لأنّ **الإتيان مجيء بسهولة،** و الإتيان قد يقال باعتبار القصد و إن لم يكن منه الحصول، و المجيء يقال اعتبارا بالحصول، و يقال: جاء في الأعيان و المعاني، و لما يكون مجيئه بذاته و بأمره، ولمن قصد مكانا أو عملا أو زمانا، قال الله: (**و جاء من أقصى المدينة رجل يسعى)** [يس/20]، **(ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات)** [غافر/34]، (**و لما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم)** [هود/77]، (**فإذا جاء الخوف)** [الأحزاب/19]، (**إذا جاء أجلهم)** [يونس/49]، (**بلى قد جاءتك آياتي)** [الزمر/59]، (**فقد جاؤوا ظلما وزورا)** [الفرقان/4]، أي: قصدوا الكلام وتعدوه، فاستعمل فيه المجيء كما استعمل فيه القصد، قال تعالى: (**إذ جاؤوكم من فوقكم و من أسفل منكم)** [الأحزاب/10]، (**و جاء ربك والملك صفا صفا)** [الفجر/22]، فهذا بالأمر لا بالذات، و هو قول "ابن عباس" و كذا قوله تعالى: (**فلما جاءهم الحق)** [يونس/76]، يقال: جاءه بكذا و أجاءه، قال الله تعالى: **(فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة)** [مريم/23]، قيل: ألجأها، و إنّما هو معدى عن جاء، وعلى هذا قولهم: (شر ما أجاءك إلى مخه عرقوب)(1) وقول الشاعر: **أجاءته المخافة و الرجاء**(2).

و جاء بكذا: استحضره، نحو: (**لولا جاؤوا عليه بأربعة شهداء)** [النور/13]، **(وجئتك من سبأ بنبأ يقين)** [النمل/22]، و جاء بكذا يختلف معناه بحسب اختلاف المجي به(3).

---

1)- يضرب للمضطر جدا، و المعنى: ما ألجأك إليها إلا شر، أي: فاقة و فقر، و ذلك أنّ العرقوب لا مخ له، وإنما يحوج إليه من لا يقدر على شيء.

2)- هذا عجز بيت لزهير بن أبي سلمى و شطره: و سار جاء معتمدا إلينا

3)- المفردات، ص91

الإتيان:

مجيء بسهولة، و منه قيل للسيل المار على وجهه: أتي و أتاوي[1]، و قال "**اللحياني**": أي: أتى و لبس مطره علينا، و به شبه الغريب فقيل: أتاوي[2].

و الإتيان يقال للمجيء بالذات و بالأمر و بالتدبير، و يقال في الخير و في الشر و في الأعيان و الأعراض، نحو قوله تعالى: (**إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة**) [الأنعام/40]، وقوله تعالى: (**أتى أمر الله**) [النحل/1]، و قوله: (**فأتى الله بنيانهم من القواعد**) [النحل/26]، أي: بالأمر و التدبير، نحو: (**و جاء ربك**) [الفجر/22]، و على هذا النحو قول الشاعر: - **أتيت المروءة من بابها**[3].

(**فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها**) [النمل/37]، و قوله: (**لا يأتون الصلاة إلاّ وهم كسالى**) [التوبة/54]، أي: لا يتعاطون، وقوله: (**يأتين الفاحشة**) [النساء/15]، فاستعمال الإتيان منها كاستعمال المجيء في قوله: (**لقد جئت شيئا فريا**) [مريم/27].

يقال: أتيته و أتوته[4]، و يقال للسقاء إذا مخض و جاء زبده: قد جاء أتوه، و تحقيقه: جاء ما من شأنه أن يأتي منه، فهو مصدر في معنى الفاعل.

وهذه أرض كثيرة الإتاء أي: الريع، و قوله تعالى: (**مأتيا**) [مريم/61] مفعول من أتيته.

قال بعضهم: معناه: آتيا، فجعل المفعول فاعلا، و ليس كذلك بل يقال: أتيت الأمر و أتاني الأمر، و يقال: أتيته بكذا و أتيته كذا. قال تعالى: (**وأتوا به متشابها**) [البقرة/25] وقال: (**فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها**) [النمل/37]، و قال: (**و آتيناهم ملكا عظيما**) [النساء/54].

[و كلّ موضع ذكر في وصف الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كلّ موضع ذكر فيه (وأتوا)؛ لأنّ (أوتوا) قد يقال إذا أوتي من لم يكن منه قبول، و آتيناهم يقال فيمن كان منه قبول][5]

---

[1])- (قال ابن منظور: و الأتي: النهر يسوقه الرجل إلى أرضه. وسيل أتي و أتاوي: لا يدرى من أين أتى.
[2])- (و قال في اللسان: بل السيل مشبه بالرجل لأنه غريب مثله.
[3])- هذا عجز بيت للأعشى و قبله: وكأس شربت على لذة *** وأخرى تداويت منها بها
لكي يعلم الناس أني امرؤ *** أتيت المروءة من بابها.
[4])- (قال ابن مالك: و أتوت مثل أتيت فقل لها *** ومحوت خط السطر ثمّ محيته)
[5])- (نقل هذه الفائدة السيوطي في الإتقان 256/1 عن المؤلف).

و قوله تعالى: (**آتوني زبر الحديد**) [الكهف/96] أي: جيئوني[1]. إنّ القارئ لقوله Y في سورة النمل يدرك دقة التعبير القرآني فمثلما ذكر لنا "**ابن كثير**" أنّ العفريت قال: أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك قال "**سليمان** υ": أريد أعجل من ذلك فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثمّ آتيك به قبل أن يرتد ليك طرفك قال فنظر إليه "**سليمان**" υ فلما قطع كلامه رد "**سليمان**" υ بصره فنبع عرشها من تحت قدم "**سليمان**" υ من تحت كرسي "**سليمان**" υ يضع عليه رجله ثمّ يصعد إلى السرير قال فلمّا رأى "**سليمان**" υ عرشها قال هذا من فضل ربي[2]، هذا الاستعمال الدقيق للفعل **أتى** بدل **جاء** يدلنا على سهولة تامة في المجيء به، من جهة و يدلنا على القوة التي كانت موجودة في ملك "**سليمان**" υ إذ لو كانت هنالك أدنى صعوبة ما في نقل العرش لعبرا بالمجيء فقال أنا أجيئك به و لكن هذه السهولة في المجيء به جعلتنا ندرك هذا التوافق في المعنى واللفظ و حق له أن يكون كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

الطريق:

السبيل الذي يطرق بالأرجل، أي يضرب. قال تعالى: (**طريقا في البحر**) [طه/77]، و عنه استعير كلّ مسلك يسلكه الإنسان في فعل، محمودا كان أو مذموما. قال: (**ويذهبا بطريقتكم المثلى**) [طه/63][3].

السراط: الطريق المستسهل، أصله من سرطت الطعام و زردته: ابتلعته، فقيل: سراط، تصورا أنّه يبتلعه سالكه، أو يبتلع سالكه[4].

السبيل: الطريق الذي فيه سهولة، و جمعه سبل، قال: (**و أنهارا و سبلا**) [النحل/15]، (**وجعل لكم فيها سبلا**) [الزخرف/10]، (**ليصدونهم عن السبيل**) [الزخرف/37]، يعني به طريق الحق؛ لأنّ اسم الجنس إذا أطلق يختص بما هو الحق، و على ذلك: (**ثمّ السبيل يسره**) [عبس/20]، و قيل لسالكه سابل، و جمعه سابلة، و سبيل سابل، نحو شعر شاعر[5].

---

1)- المفردات، ص 18.
2)- تفسير ابن كثير، 367/3.
3)- المفردات، ص 306
4)- نفسه، ص 234.
5)- نفسه، ص 229.

السرقة:

أخذ ما ليس له أخذه في خفاء، و صار ذلك في الشرع لتناول الشيء من موضع مخصوص، و قدر مخصوص، قال تعالى: (**و السارق و السارقة**) [المائدة/38]، وقال تعالى: (**قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل**) [يوسف/77]، و قال: (**أيتها العير إنّكم لسارقون**) [يوسف/70]، (**إنّ ابنك سرق**) [يوسف/81]، و استرق السمع: إذا تسمع مستخفيا، قال تعالى: (**إلاّ من استرق السمع**) [الحجر/18][1].

السلب:

نزع الشيء من الغير على القهر. قال تعالى: (**و إن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه**) [الحج/73][2]. و قد قيل و إن يسلبهم الذباب شيئا راجع إلى ألمهم في قرص أبدانهم حتى يسلبهم الصبر لها والوقار معها وخص الذباب لأربعة أمور تخصه لمهانته وضعفه و لاستقذاره و كثرته فإذا كان هذا الذي هو أضعف الحيوان و أحقره لا يقدر من عبدوه من دون **الله** Y على خلق مثله و دفع أذيته فكيف يجوز أن يكون آلهة معبودين و أربابا مطاعين[3]، والمتتبع لهذه الكلمة القرآنية يرى ضعف هذا المخلوق فإذا كان هذا المخلوق ضعيفا سالبا فما هي مكانة المسلوب المقهور؟ إنّه ليس مقهورا من قوي بل إنّه مقهور من طرف أضعف مخلوقات **الله**.

قال تعالى: (**أزفت الآزفة**) [النجم/57]، أي: دنت القيامة. و أزف و أفد يتقاربان، لكن **أزف يقال اعتبارا بضيق وقتها**، و يقال: أزف الشخوص و الأزف: ضيق الوقت، وسميت به لقرب كونها، و على ذلك عبر عنها بالساعة، و قيل: (**أتى أمر الله**)[النحل/1]، فعبر عنها بالماضي لقربها و ضيق وقتها، قال تعالى: (**و أنذرهم يوم الآزفة**) [غافر/18][4].

بقي أن نشير إلى أنّ "**الراغب**" قد أشار في بعض مواد الكتاب إلى بعض الكلمات التي تكون أبلغ من الأخرى من ناحية دلالتها مثل الاجتناب و الترك و آتينا و أوتوا و ما أدراك وما يدريك و إليك الفروق التي ذكرها "**الراغب**":

---

1)- نفسه، ص236.
2)- نفسه، ص 243.
3)- أنظر: القرطبي، 92/12.
4)- المفردات، ص 26.

قال تعالى: (**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**) [النساء/31]، و قال: (**و اجتنبوا قول الزور**) [الحج/30]، و (**اجتنبوا الطاغوت**) [الزمر/17] عبارة عن تركهم إياه، (**فاجتنبوه لعلّكم تفلحون**) [المائدة/90]، و ذلك أبلغ من قولهم: اتركوه[1]

قال: (**لفي سجين، وما أدراك ما سجين**) [المطففين/7 - 8]، و قد قيل: إنّ كلّ شيء ذكره الله تعالى بقوله: (**وما أدراك**) فسره، و كلّ ما ذكر بقوله: (**و ما يدريك**) تركه مبهما[2].

و كلّ موضع ذكر في وصف الكتاب (آتينا) فهو أبلغ من كلّ موضع ذكر فيه (وأتوا)؛ لأنّ (أوتوا) قد يقال إذا أوتي من لم يكن منه قبول، و آتيناهم يقال فيمن كان منه قبول[3].

---

[1])- نفسه، ص107

[2])- نفسه، ص 231.

[3])- نفسه، مادة أتى.

الخاتمة

خاتمة:

لقد قامت هذه الدراسة منذ بدايتها، و بناء على الغرض الذي توخته من اختياري لهذا الموضوع و تخصيص عنصر الدلالة ببحث واف، معتمد على جمع المادة و تحليل معانيها؛ من إبراز لأهم مشكلات الدرس الدلالي. فكان أن توصلت إلى:

أنّ النظرية السياقية قد عرف المسلمون تطبيقها، قبل علماء الدلالة المحدثين. و كان السبق حاصلا لهم في ذلك بعدة قرون.

- وصلت كذلك إلى أنّ التفسير لا يتكلم فيه كلّ إنسان، و إنّما لابد أن يحرز صاحبه علوما، و فنونا كثيرة.

حاول **"الراغب"** أنّ يفسر تلك الألفاظ و يوضحها توضيحا خاليا من أي إبهام باللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

- أنّ **"الراغب الأصفهاني"**،كان ذا نظرة متميزة في ظاهرة الأضداد،حيث لم يسبقه في ذلك أحد.

- أعطى الراغب فروقا لغوية دقيقة، موجودة بين كلمات القرآن الكريم. حيث تصلح الكلمة في موطن، لا تصلح فيه الأخرى.

موسوعية العلماء، جعلتهم يتفطنون إلى المقصود من الكلمة. كيف لا و هم الذين يستطيعون التنقل بين حقل معرفي و آخر بكلّ سهولة.

و لا أنسى أن أشير إلى أنّني حاولت الاستعانة قدر المستطاع بالنماذج التطبيقية،حتى يكون هذا البحث مزيجا بين ما هو نظري و ما هو تطبيقي، لكي يتسنى لمن يطلع عليه أن يفهم ما فيه من أفكار.

و في الأخير أرجو- مخلصا **لله**- أن تكون هذه المذكرة قد أسهمت بما كتب لها في إثراء دراساتنا القرآنية، حول عنصر الدلالة عند **"الراغب"**. و أن يجد إخواننا وزملاؤنا الأساتذة والطلبة و لو قليلا ممّا قصدناه و توخيناه, من هذا الجهد البسيط و **بالله** التوفيق.

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآية	رقمها	الصفحة
	(وقال الذين لا يرجون لقاءنا)	15	95
	(أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض)	18	110-68
	(وظن أهلها أنهم قادرون عليها)	24	103
	(وما يتبع أكثرهم إلا ظنا)	36	103
	.(قل بفضل الله)	58	83
	(ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك)	106	117
هود	(ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة)	9	114
	(ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته)	10	114
	(ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم)	30	112
	(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك)	49	109
	(ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم)	77	117
	(ذلك من أنباء القرى نقصه عليك)	100	109
	(وإنهم لفي شك منه مريب)	110	108
	(ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة).	118	87
يوسف	(وشروه بثمن بخس)	20	102
	(قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي)	23	104
	(وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه)	30	54
	(ما هذا بشرا)	31	70
	(قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه)	33	117
	(نبأتكما بتأويله)	37	110
	(أذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه)	42	104
	(وَادَّكَرَ بَعدَ أمة).	45	88 – 39
	(ارجع إلى ربك)	50	104
	(فعرفهم وهم له منكرون).	58	93
	(إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها)	68	98
	(أيتها العير إنكم لسارقون)	70	120
	(قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل)	77	120
	(إن ابنك سرق)	81	120
	(واسأل القرية)	82	50
	(تالله إنك لفي ضلالك القديم)	95	53
	(وعلمتني من تأويل الأحاديث)	101	108
الرعد	(ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء)	13	96
	(قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم)	33	110
إبراهيم	(سواء علينا أجزعنا أم صبرنا)	21	99
	(سرا وعلانية).	31	85
	(فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم)	37	106
	(وأفئدتهم هواء)	43	107 - 106
الحجر	(ربما يود الذين كفروا)	2	70
	... (إلا من استرق السمع).	18	120
	(ونبئهم عن ضيف إبراهيم)	51	110
	(كذب أصحاب الحجر المرسلين)	80	105
	(كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين).	91- 92	128
	(فاصدع بما تؤمر)	94	69
النحل	(أتى أمر الله)	1	– 118

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ، الواردة في المذكرة.

الحديث	الراوي	الإخراج	الصفحة
كان عمر بن الخطاب يدخلني مع أشياخ بدر.......إلا ما تعلم	عبد الله بن العباس	البخاري 1563/4	08
بينما امرأتان معهما ابناهما......فقضى به للصغرى	أبو هريرة	البخاري 1260/3	25
نعم فإنه يبعث.......... وحده	سعيد بن زيد	مسند الطيالسي	76
المؤمنون هينون ....استناخ	مكحول	ابن المبارك في الزهد	76
خمس فواسق .....والحدايا	عائشة	صحيح مسلم856/2	79
البيت وازن..........ومنه دحيت	قتادة	مصنف عبد الرزاق28/5	96
لقد كان فيما قبلكم ....عمر	أبوهريرة	البخاري 1279/3أخرجه أحمد55/6	118

فهرس الأبيات الشعرية:

أنخت قلوصي و اكتلأت بعينها	و آمرت نفسي أي أمري أفعل	كعب بن زهير	75
فغض الطرف إنك من نمير	فلا كعبا بلغت ولا كلابا	جرير	76
إذا نحن أثنينا عليك بصالح	فأنت الذي نثني وفوق الذي نثني	أبو نواس	76
إذا لسعته النحل لم يرج لسعها	وحالفها في بيت نوب عوامل	أبو ذؤيب الهذلي	114
وسار جاء معتمدا إلينا ـ	أجاءته المخافة والرجاء	زهير بن أبي سلمى	117
وخيل قد دلفت لها بخيل	تحية بينهم ضرب وجيع	ـ عمر بن معد كرب	116

المصـــــــــادر:

1- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

2- أحمد بن فارس،الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها ، ت .د: عمر فاروق الطباع . مكتبة المعارف ، بيروت ط1، 1993.

3- أبو بشرعمر عثمان بن قنبر المعروف بـــ: سيبويه، الكتاب ، ت: عبد السلام هارون دار الجيل بيروت ط1

4- جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي:

- الإتقان في علوم القرآن ،تــ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1975.

- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، ت، مجموعة من الأساتذة ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا بيروت

1- أبو بشر عمر عثمان بن قنبر المعروف بـــ: سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1.

2- أبو هلال العسكري: الفروق في اللغة، ت: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط 5،1981

3- أحمد بن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية و مسائلها و سنن العرب في كلامها، ت.د: عمر فاروق الطباع. مكتبة المعارف، بيروت، ط 1، 1993.

4- البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (194.هــ/256هـ): صحيح البخاري، تــ: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير اليمامة، بيروت، 1987/1407، ط 3،

5- جعفر بن جرير الطبري: 310/224هـ : جامع البيان ي تفسير القرآن، دار الفكر، بيروت، لبنان ط،1، 1405هـ.

6- الطيالسي سليمان بن داود أبو دود الفارسي البصري توفي 204ه دار المعرفة بيروت

-14-ابن كثير سماعيل بن عمر الدمشقيأبو الفداء توفي 774دار الفكر بيروت 1404

15جلال الدين السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت: أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975, 318/2.

16رمضان عبد التواب: فصول في فقه اللغة، مكتبة الخانجي، بالقاهرة، ط 3، 1994/1415.

7- ستيفن أولمان: ، ت:/د/ : كمال بشر, دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع, القاهرة، 1997.

8- صبحي الصالح: مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت ط 16.

9- صلاح عبد الفتاح الخالدي: التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق، دار النفائس، الأردن ط 1، 1997.

10- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.

11- محمد الغزالي: كيف نتعامل مع القرآن، دار الرجاء، عنابة، د، ت، ط.

12- محمد باقر الصدر: المدرسة القرآنية، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ط ، 1981.

13- محمد حسين الذهبي: التفسير و المفسرون، أم القرى، ط. 1988.

14- محمد عبد الله الزركشي: البرهان في علوم القرآن تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم المكتبة العصرية، صيدا بيروت.

26محمد علي الصابوني: التبيان في علوم القرآن، مؤسسة مناهل العرفان، بيروت، ط 1981،2.

27-ابن هشام الأنصاري جمال الدين الأنصاري ت: محمد محي الدين عبد الحميد دار رحاب للنشر والطباعة والتوزيع

-

28-الهيثمي الحارث بن أسامة / الحافظ نور الدين 282/168/ زوائد الهيثمي مركز خدمة السنة والسيرة النبوية- المدينة المنورة ط1992/01

29- البيهقي ظهر الدين تاريخ الحكماء الاسلام نشر وتحقيق محمد كرد علي مطبوعات المجمع العلمي دمشق د ت ط

27مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري: (261/206): صحيح مسلم، دار إحياء التراث، بيروت، تـ: محمد فؤاد عبد الباقي.

5- الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة ، ت:د، محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجيل بيروت ط3 1993.
6- عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز في علم المعاني ، تت محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت لبنان ط 2 ،1998.

ابن عقيل : شرح بن عقيل على ألفية بن مالك مكتبة دار التراث القاهرة ،20ط،1980

المراجع:

1- محمد الأنطاكي: الوجيز في فقه اللغة ، مكتبة الشهباء ،عبد السميع عفش للطباعة والنشر والتوزيع د،ت،ط.
2- إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط5 1984. * 1997.*المشترك في اللهجات العربية، مؤسسة الرسالة، بيروت ط،2., 1988
3- أحمد مختار عمر": علم الدلالة ، مكتب دار العروبة للنشر و التوزيع، ط 1، عالم الكتب القاهرة، ط 2، 1988 .
4- بالمر: علم الدلالة إطار جديد ، تر :د صبري إبراهيم السيد ، دار المعرفة الجامعية 1995.
5- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب ، ط1998/1418/3/.
6- حلمي خليل:

- الكلمة، دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعي الإسكندرية .

- مقدمة لدراسة اللغة، دار المعرفة الجامعية 1997.

7- محمد حسين الذهبي: التفسير والمفسرون،أم القرى، ط 4 , 1988.

8- زين كمال الخويسي: - في الارتباط بين اللفظ والمعنى / منهج ومقترح / ،دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1995.

9- طاهر سليمان حمودة: دراسة المعنى عند الأصوليين ، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع د،ت،ط.

10-أبو عثمان عمر بن بحر المعروف بالجاحظ: البيان والتبيين ، ت عبد السلام هارون ، دار الجيل بيروت ن ط2

11أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر بابن قيم الجوزية، بدائع الفوائد ، دار الكتاب العربي بيروت لبنان.

12أبو الفتح عثمان بن جني: الخصائص ت، محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط2، 1952..تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ،د، ت،ط.

13محمد بن القاسم الأنباري:- الأضداد ، تأبو الفضل إبراهيم ن المكتبة العصرية ، صيدا\ بيروت /1411، 1991.

15محمد الطاهر بن عاشور ، تفسير التحرير والنوير ، الدار التونسية للنشر، تزنس المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984.

16 حلمي خليل:

- الكلمة، دراسة لغوية معجمية، دار المعرفة الجامعي الإسكندرية .

7- - مقدمة لدراسة اللغة، دار المعرفة الجامعية 1997

18-أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: تأويل مشكل القرىن ، شرح السيد أحمد صقر المكتبة العلمية .

19عائشة عبد الرحمان:

- التفسير البياني للقرآن الكريم ، دار المعارف مصر ، ط1977،5.

من أسرار العربية في البيان القرآني ، دار الأحد بيروت ،1972.

20صبحي الصالح:

- دراسات في فقه اللغة ، دارالعلم للملايين ، بيروت ط9، 1981.

- مباحث في علوم القرآن دار العلم للملايين بيروت ، ط10، 1977.

21الطيب دبة: - مبادئ اللسانيات البنوية ، دراسة تحليلية إبستيمولوجية دار القصبة للنشر الجزائر،2001. -

1- عبد العال سالم مكرم: المشترك اللفظي في الحقل القرآني ، مؤسسة الرسالة بيروت ، ط1/1417/.1996.

22علي عبد الواحد وافي: فقه اللغة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة ط.

2- 1999.

المـــــعـــاجـــــم:

1-أحمد بن فارس: - معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط 1،1991.

02-أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت.

03محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح، تعليق و تخريج، د .مصطفى ديب البغا، دار الهدى عين مليلة، الجزائر ط4، 1990.

المجلات :

المعيار

دورية علمية محكمة تعنى بالدراسات الاسلامية ،العدد الثاني عبد الله سامي الكناني قواعد التفسير في معجم المفردات

فهرس الموضوعات:

ملخص البحث :

إن التفسير هو تفسير لظاهر الآية وإيراد المعنى القريب المتبادر إلى الذهن ويعتمد في ذلك على العلم الصحيح ومن ثم يكون تفسير الآية من باب الجزم والقطع ويتم ذلك بإمعان النظر في الجمل والتراكيب والآيات وإعمال النظر والعقل في فهم باطن الآية والالتفات إلى لطائفها وإشاراتها وإيحاءاتها واستخراج حقائقها ودلالاتها وملاحظة المعنى البعيد غير المتبادر إلى الذهن مع مراعاة معلوماته التفسيرية السابقة والرجوع إليها حتى لا تتعارض مع تأويلاته وبما أن علم الدلالة يتناول المعنى على اعتباره الفرع الوحيد من علم اللغة الذي يدرس الشروط المتوفرة في الدليل اللغوي حتى يكون قادرا على حمل المعنى

وبين علم الدلالة الذي هو فرع من فروع الدراسات اللغوية النظرية وعلم التفسير الذي يحاول الكشف عن المعاني ابتداء من المفردات . تداخل واضح ولذلك كان لزاما علينا أن نعرف علمي التفسير والدلالة معا ونخوض في أهم مشكلات المعنى التي .من بينها

المترادف :[اختلاف اللفظين والمعنى و احد] :وهو أن يدل أكثر من لفظ على معنى واحد .

الاشتراك اللفظي :[هو أن يكون للكلمة الواحدة عدة معان تطلق على كل واحد منها على طريق الحقيقة لا المجاز]، وذلك كلفظ الخال الذي يطلق على أخ الأم وعلى الشامة في الوجه ، وعلى السحاب ، وعلى البعير الضخم ، وعلى الأكمة الصغيرة وفي العصر الحديث نكلم علماء الدلالة عن إجراء منهجي معروف قديما وهو .

السياق :الذي يولي العناية بعلاقة الكلمة مع قبلها وما بعدها من الكلمات ، وهو الذي يعين قيمة الكلمة ويخلصها من الدلالات الماضية التي تدعمها الذاكرة وتتراكم عليها فيخلق لها قيمة حضورية ولهذا يصرح فيرث بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية .

وتعد نظرية السياق على النحو الذي عده فيرث من أفضل المناهج لدراسة المعنى بسبب ما تميزت به من عناية بالعناصر اللغوية والاجتماعية ، والابتعاد عن الكثير من الأفكار البعيدة عن الواقع اللغوي وقد بين ستيفن أولمان دور هذه النظرية فحاولنا تطبيق هذا الإجراء المنهجي على احد أهم كنب التراث فكان أن اصطفينا كتاب المفردات للراغب الأصفهاني الذي هو من أحسن المصنفات في معرفة غريب القرآن .وهو من أهم المصادر التي لا يمكن لأي عالم من علماء القرآن واللغة الاستغناء عنه ، لأنه يتضمن فوائد جمة في الدرسين ، اللغوي والقرآن9ي فهو ينفع قراء كتاب الله ، لأن مؤلفه أسهب كثيرا في شرح الألفاظ القرآنية شرحا لغويا. كما فسر بعضها تفسيرا دينيا . ف" الراغب" يدور مع معاني الألفاظ مهما اختلفت وتعددت ، مستأنسا بأدلة كثيرة ابتداء من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ،وانتهاء بما أثر عن العرب من شعر وأمثال وأساليب لغوية فقد أجاد في هذا المضمار إجادة تامة ،وبلغ غايته في تفسير غريب القرآن . فالمؤلف على هذا الأساس إنما يقدم في مفرداته خدمات كبيرة للغة العربية بما يورده من الصيغ العديدة والمشتقات الكثيرة للمادة اللغوية ، ينهل منها المتخصصون في الدرس اللغوي وغير المتخصصين . فهو بهذا المنهج أحيا الطريقة اللغوية الأدبية في تفسير كتاب الله المجيد ، وأعاد إلى الأذهان قضية التفسير اللغوي التي سلكها الأقدمون من علماء القرآن أصحاب الاتجاه اللغوي .

لقد رتب الراغب مفرداته ترتيبا ألفبائيا ليسهل على الباحثين الحصول عل مرادهم من غير صعوبة وفي مدة وجيزة فهو يقسم تفسيره إلى أقسام سمى كل قسم منها كتابا , وهي موزعة على حسب ترتيب الحروف الهجائية الألفبائية كأن يقول مثلا : كتاب الألف , الباء و كتاب التاء ...وهكذا إلى آخر الحروف العربية

إن العربية وما تشتمل عليه من بيان لمعاني المفردات والتعريف بالمشتقات من أهم الأسس التي يعتمد عليها أهل التفسير , خاصة اللغويين منهم , لأن اقتحام ميدان التفسير من غير الرجوع إلى اللغة والتسلح بها أمر له آثاره السيئة على المفسر.

كما يؤكد الراغب في مقدمة غريبه هذا أن أول ما يحتاج إليه المفسر من علوم القرآن : العلوم اللفظية.ومن تلك العلوم تحقيق الألفاظ المفردة.

هو كثرة التفسير الوارد عن الصحابة وآل البيت والمفسرين ويمثل هذا التفسير جزء مهما من كتاب الراغب وهو ما يعرف بالأثر أو المأثور وجل ما ورد عند الراغب من مأثور يورده بلا نسبة لقائله |أحيانا وفي بعض الأحيان ينسب الآراء لقائليها فقد ذكر لنا آراء كثيرة منسوبة إلى أمير لمؤمنين علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وقتادة وعكرمة ...ومن اللغويين نلمس استشهاده بأقوال الخليل والفراء وسيبويه والأخفش. ومن المعروف لدى الدارسين أن الأخذ بالمأثور من أصح الطرق في مجال تفسير القرآن الكريم.ويمكن الآن لنا أن نسوق بعض الشواهد من معجمه لنرى مدى أهميته في الانتفاع بالمأثور

والحقيقة أن الأمور التي استشهد الراغب لأجلها متعددة وكثيرة . وأظن أنها تحتاج لبحوث خاصة ، لأنني هنا أحاول رصد أهم ما يميز هذا المفسر اللغوي الراوية للشعر من جهة ، والمحسن لاستعماله وتوظيفه متى تطلب منه الأمر ذلك من جهة أخر . لأنه وفي تقديري البسيط لا يفهم كلام الله تعالى الذي هو عربي إلا بما هو عربي ومتى كان الإنسان حاصلا على هذه الوسيلة فبإمكانه أن يصل بدون عناء إلى معرفة كنه الآيات ، مثلما فعل الراغب وغيره من أسلافنا .

عندما نتصفح كتاب المفردات على اعتباره عندما نتصفح كتابا مشتملا على تفسير المبهم في القرآن الكريم فإننا نلاحظ وجود أحد أهم الموضوعات التي طرقها علماؤنا الأجلاء من بعده مثل السيوطي الزركشي هذا الموضوع هو موضوع الوجوه والفروق

ومن الأمور التي يجب أن نعرج عليها ، وذلك لأنها من أهم إشكاليات الدرس الدلالي ظاهرة الأضداد ؛ وهي أن الرمز اللغوي يتحمل معنيين متضادين معا. ولقد أفرد العلماء له كتبا لحصر هذه الظاهرة اللغوية ككتاب الأضداد لابن الأنبا ري ومنهج الراغب كمتتبعين للدرس اللغوي لم يصل إليه أحد . بل إننا نجزم أن رأي الراغب في هذه الظاهرة هو رأي انفرد به لوحده ولم يقل به أحد من قبله ولا من بعده فهو يقف موقفا وسطا في معالجته

لعله من أهم العلاقات في علم الدلالة،علاقة الاشتمال أو التضمن وعلاقة التضاد ن وعلاقة الجزء والكل وعلاقة العموم والخصوص؛ هذه العلاقات التي تمكن الرمز اللغوي من الدلالة على شيء وعدم دلالته على الشيء الآخر. والعرب في دراساتهم اللغوية بينوا ذلك جيدا كون اللفظ يستعمل حينا ولا يستعمل حينا آخر وألفوا في ذلك كتبا تبدوا علاقة العموم والخصوص واضحة فيها ومن أجل هذه الكتب اللغوية وأجودها كتاب الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري وكتاب فقه اللغة العربية لأبي منصور الثعالبي؛ هذا الأخير كان غالبا ما يحدد الفرق بين كلمة وأخرى إلا ويذكر الدليل القرآني . والراغب لم يكن بدعا من هؤلاء العلماء، فقد أتبع منهجهم في هذه الدراسة القرآنية الفريدة من نوعها . فلنحاول الآن التماس بعض مواطن العموم والخصوص بين ألفاظ القرآن الكريم حسب ما ذكرها الراغب ومن ذلك تفريقه بين اللب والعقل

لقد قامت هذه الدراسة منذ بدايتها، وبناء على الغرض الذي توخته من اختياري لهذا الموضوع وتخصيص عنصر الدلالة ببحث واف، معتمد على جمع المادة وتحليل معانيها؛ .من إبراز لأهم مشكلات الدرس الدلالي. فكان أن توصلت إلى :

-أن النظرية السياقية قد عرف المسلمون تطبيقها، قبل علماء الدلالة المحدثين. وكان السبق حاصلا لهم في ذلك بعدة قرون.

-وصلت كذلك إلى أن التفسير لا يتكلم فيه كل إنسان، وإنما لابد أن يحرز صاحبه علوما، وفنونا كثيرة

حاول الراغب أن يفسر تلك الألفاظ ويوضحها توضيحا خاليا من أي إبهام باللغة التي نزل بها القرآن الكريم .

-أن الراغب الأصفهاني،كان ذا نظرة متميزة في ظاهرة الأضداد،حيث لم يسبقه في ذلك أحد .

موسوعية العلماء، جعلتهم يتفطنون إلى المقصود من الكلمة. كيف لا وهم الذين يستطيعون التنقل بين الحقل لمعرفي والآخر بكل سهولة. وعلى هذا الأساس كان المشكل المطروح كالآتي:

كيف نظر الراغب الأصفهاني إلى الظواهر الدلالية ؟وكيف تعامل معها ؟

وما هي الضوابط والقواعد التي يقدمها حتى تحتمل الكلمة معنى دون الآخر ؟

وما هو المنهج الذي ارتضاه في تفسير كلمات القرآن الكريم ؟

وعلى هذا الأساس ارتأيت أن تكون خطة البحث كالآتي :

مدخل : وفيه التعريف بمعنى التفسير والتأويل وأنواع التفسير، وضمن أي نوع يمكن أن نصنف تفسير الراغب، مع شرح لمصطلح الدلالة .

الفصل الأول وفيه الكلام عن أهم المشكلات في الدرس الدلالي، المتعلقة بالمعنى وتناولت فيه الترادف، بين مؤيديه ومنكريه وأسبابه. والمشترك اللفظي وكيفية نشأته وسلبياته وإيجابياته كما تكلمت عن النظرية السياقية وسبق العرب في هذا المجال لعلم الدلالة

الفصل الثاني: وتكلمت فيه عن الراغب وينابيع ثقافته، و أهم العلوم التي أخذ منها، ومنهجه المتبع في قضية الترادف، والتضام، والسياق، والأثر، وعن منهجه في تناول ظاهرة الأضداد،وغيرها من الظواهر التي عالجها الراغب في دلالة الكلمات .

أما في الفصل الثالث: فقد كانت النماذج التطبيقية لبعض الكلمات المتفرقة، والمنتقاة بدقة متناهية، بعد طول اطلاع. والتي رأيت أن تكون نماذج مفيدة للتحليل. كالفرق بين المكث و اللبث و الثواء ،والفرق بين الجدار والحائط. والفرق بين آتينا ، وأوتوا .والفرق بين القلب والفؤاد ، والصدر ...وكلها كلمات نزل بها القرآن الكريم.

وهذا الكلام بصفة عامة لتقريب الطرح إلى الأذهان ، وبسط الكلام فيه موجود ضمن مباحث هذه المذكرة

The summary of research paper :

The explanation of the quoran are explanation of the conspicuous meaning .and the bringing of what comes to the brain first .depending one the true science :hence ,the explanation of the verse will be exact and correct/and that will be accomplished by the insight inside the sentences expression and verss using the brain in understanding the deep senses and it is signifiers and signifants and extracting its correct meaning

And its significonce observing tacit sense which not easy to waredearing a bout the previous explanations; it is interpretations:

Because semantics deals with the sensemas the only branche of language science studies the conditions that must be brovided in the linguigal signifir to be able to carry the sense

And becauseof the interdisiplinery between semantics as the branch linguistics and the explanation of quoran whitch traies to descover the sense of the words, ther for mze were obliged to give both difinitions .and embarking on the main problems between the two meaning.

Synonyms: two words having one meaning

-polysemous:one word having a lot of meaning providing that it is usedfor the reality and not metaphore.

Now days m semantic sciens talkabout methodological procedurewhich is :

The context: it deals with the relation between the word sand what is befor and after it the context help us to define value of the word. and freeing it from the previous senses for this reason Firthe

revealed that the sense do not be clarified only by the contextualization of the language unite

The theory of context , is considered , as one of best theories to study the meaning like what Steven ulmene has reaveled for this reason we tried to apply this procedure to one of the most Important resource which one for all researches of language and quorn because it is includes a lot of benefites in the two realms. This is due to this authors elaboration in the explanation of the quoran s words in a linguistic way .in addition that religions

Explanation depending on many examples from the holy quoran .and prophet s saying (p.b.u.h) arriving to the poety and proverbs and linguistic styles .elragheb ordered the words in alphabetiorder to facilitate the research in a short time moreover .he classified his the explanation .he nominate chapter he says chapter A chapter B ....

Heensure the Importance of the verbl science because it is prelinary .

It is characterized of explanations narrated by the companions of ali ben abi taleb abdellah ben abase ......and from linguistics el frae el khalil sibaouih ......and this method is one of the most correct way I understanding the quora

That erraghib exempelifid for was multifased quoran is Arabic we can not understand him unless. understanding the Arabic it sellike elragheb did .and he has a particular way in the explanation of the quoran like the resource of elragheb (inclusion.contention . part of the wool)

These are relations understood clearly by elragheb and the desting between very diffirent words in quoran .

This studies sets upover the semantic element .were I depend on collecting the data and vonalising its meaning . arraving this results:

1-muslimscientist now to apply contextualization befoor westscientist.

2- the quorans scientist must beaware of defferent sciencessuch as the linguistique ones .then the answered a problems of elragheb saw the semantic phoneme and how he treated it?

What is the tentes to consider the meaning ?from this bases, I chose the out line of the research paper is follows

1-preamble

2-chapter 1main problems of the semantic course .

3-chapter tow elragheb and his methodologie

4-chapter 3-applied samples and this summary was to approach to the mind ,and the details of it is in the chapter of this dissertion in chaa Allah